المدخل

الدرس الأول

لماذا نصلي؟

١ ــ تلبية حاجة الإنسان الباطنية والنفسية

استعادة الطمأنينة وضبط الهوى

مقترحات الآخرين للسيطرة على الاضطراب

الدرس الثاني

٢ ــ تدارك الذنوب والآثام

٣ ــ تقوية القابلية على التركيز

٤ ــ تحكيم العدالة الاجتماعية

٥ ــ اكتساب الوقار الشخصي والاتزان الأخلاقي!

٦ ــ التحلّي بالنظم والانضباط

٧ ــ استحكام الإيمان

الدرس الثالث

٨ ــ أنس الإنسان الفطري بالعبادة

٩ ــ عمومية النظرة

١٠ ــ الصلاة منعتق من

الدرس السادس

محراب العبادة

الأذان والاقامة

ثواب المؤذن

شروط المؤذن وكيفية الأذان

الوضوء

جفاء الله

تجديد الوضوء

الدرس السابع

قيمة العمل

النية

دور الإخلاص في النية

٦ ــ الإخلاص ملاك الشرف والكرامة الإنسانية

٧ ــ الإخلاص خير وسيلة للإحسان

٨ ــ الإخلاص قوام الدين

طريق تحصيل النية الخالصة

١ ــ اليقين بالمبدأ والمعاد

٢ ــ اليأس من الناس

٣ ــ تجنّب تنمية الاهواء واتباعها

تعقيبات الصلاة

١ ــ التكبير

٢ ــ تسبيح الزهراء (ع)

٣ ــ البراءة من أعداء الإسلام ولعنهم

٤ ــ الاستغفار

٥ ــ سجدة الشكر

٦ ــ التبرّك بالمسجد

الدرس الحادي عشر

صلاة الجماعة

آثار صلاة الجماعة

١ ــ عرض الإسلام على المجتمع

٢ ــ التوفيق الإجباري

٣ ــ تعرف المسلمين على بعضهم

٤ ــ بث جو المعروف في المجتمع

٥ ــ بث الخوف والرعب في الأعداء

٦ ــ حفظ المكانة الاجتماعية

قانون صلاة الجماعة وآدابها

صلاة الجمعة

الدرس الثاني عشر

الانشغال بالنفس ومحذر من ضياع العمر
١١ ــ مصاحبة الكون
١٢ ــ الصلة مصحة للبدن، ومطهرة للباس
١٣ ــ الشعور بالقدرة والعزّة
الدرس الرابع
تاريخ الصلاة
تشريع الصلاة في الإسلام
القبلة
معنى إقامة الصلاة
الدرس الخامس
الاهتمام بالصلاة
وجوه الأهمية
١ ــ اشتراك الشرائع السماوية في الصلاة
٢ ــ تجلي الدين كله في الصلاة
٣ ــ لا عفو في الصلاة
٤ ــ دور الصلاة في تحقيق حاجات الإنسان
٥ ــ تخصيص بناء للصلاة
٦ ــ تكرر الطلب
٧ ــ أنواع مختلفة
٨ ــ تكفير تارك الصلاة
٩ ــ أول سؤال في القيامة
٤ ــ استخدام العقل
الدرس الثامن
في حوار مع المعبود
الله أكبر
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
الرحمن الرحيم
مالك يوم الدين
إياك نعبد وإياك نستعين
اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ولا الضالين
١ ــ الطغاة
٢ ــ بنو إسرائيل
٣ ــ القتلة
٤ ــ عبدة العجل
٥ ــ سيّئو الظن بالله
سورة التوحيد
الدرس التاسع
أجزاء الصلاة
الركوع
السجود
سجدة الشكر
القنوت والتشهد
الدرس العاشر
الصلوات غير اليومية
صلاة الليل
صلاة العيد
صلاة الآيات
صلاة الميت
صلاة الاستسقاء
صلاة القضاء
الدرس الثالث عشر
ترك الصلاة
عدم الاهتمام بالصلاة
عواقب عدم الاهتمام بالصلاة
١ ــ اسخاط النبي ومفارقة العترة
٢ ــ غضب الله
٣ ــ عدم إجابة الدعاء وحرمان دعاء الصالحين
٤ ــ الضيق والعسر
٥ ــ أهوال القبر والقيامة
٦ ــ عدم قبول الصلاة المستخف بها
القيام
الدرس الرابع عشر
عوامل الانصراف
١ ــ اقتراف الذنوب والمعاصي والآثام
٢ ــ الجهل

١٠ ــ الصلاة تعدل الإيمان ١١ ــ الصلاة باعث على إصلاح النفس	شوق اللقاء وألم الفراق الصلاة في أول الوقت	الجهل بفلسفة الصلاة ومعانيها جهل الإنسان بحاجاته التأثر بالدنيا عدم البرمجة الصحيحة للصلاة

المدخل
الدرس الأول
لماذا نصلي؟
١ ــ تلبية حاجة الإنسان الباطنية والنفسية
استعادة الطمأنينة وضبط الهوى
مقترحات الآخرين للسيطرة على الاضطراب
الدرس الثاني
٢ ــ تدارك الذنوب والآثام

العبادة الواعية

تأليف

محمد رضا رضوان طلب

تعريب قاسم المعدل

المدخل

لقد نصب الله سلم اعتلاء الإنسان عند مهوى ومهبط الحيوانية، ليجلس الإنسان على قمة مقامه الأسمى منزلة من الملائكة، وقرن بينهما بنحو كلما اسرع الإنسان الخطى في ميدان المشتركات الحيوانية، ازداد غوراً في مستنقع الحيوانية. فما الفارق بين الإنسان والحيوان إذن؟ تلك وظيفة المحققين، ومحترفي العلم والتحقيق، نخبة البشر أن يكتشفوا الفوارق، ويدركوا المميزات، ويفكروا في الظفر بقيمتها.

لاريب أن التفكير والعبادة الواعية من أسمى الفوارق بين الإنسان والحيوان. والصلاة مثال التفكير، وقالب العبادة الواعية. التفكير في بداية الوجود، ومفيضه، وعلاقة هذا المفيض بنا يدعو الإنسان إلى حمد رب العالمين، والثناء عليه... التفكير في منتهى طريق هذه المسيرة يجرنا نحو الخضوع أمام مالك تلك النشأة ورائدها، لنحمده وحده، ونعفر جبين الخضوع والالتماس بتراب ساحته.

وبينما يدفع التحقيق الإنساني الإنسان نحو الحمد والخضوع في حضرة المعبود فـ **(إنما يخشى الله من عباده العلماء)**١١١[1]، وتمنعه الغفلة الحيوانية من الامتثال الواله أمام الله سبحانه بدليل قوله: **(اولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)**١١١[2] نجد لزاماً علينا أن نطلع ـ ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً ـ هذا الجيل المختار والمنتخب ونبصره المعارف والعلوم التي خلفها الراسخون في العلم وباقريه١[3] لاسيما الصلاة التي تمثل أساس المعرفة الدينية١[4].

وامتثالاً للواجب هذا، وتجاوباً مع اقتراح بعض اساتذة الحوزة والجامعة، أعد هذا الكراس ليكون الخطوة الأولى على طريق ايضاح معاني الصلاة للطلبة الجامعيين الأعزاء.

وأنا إذ أقدم هذا الكراس آمل أن تزول بفضل اقتراحات أساتذة العلوم والمعارف الإسلامية، وتصحيحاتهم نواقصه، وتنتفي نقائصه، ويتقلد وسام القبول في ساحة الواحد الأحد.

ولما كانت فكرة تدوين هذا الكراس قد بزغت ليلة ولادة عالم آل الطهارة والتقوى ــ الذين أدهش بصغره سنه كل ذوي المعارف وأدعياء العلم في عصره ــ جواد الأئمة (ع) فإني أهدي هذا الكتاب إلى حضرة ذلك الكوكب مقيم الصلة.

النصف الدراسي الثاني من العام ١٤١٥هـ ــ ١٤١٦هـ

د. محمد رضا رضوان طلب

الدرس الأول

لماذا نصلي؟

الصلاة وإن كانت لا تمثل برأي كثير من العاملين، والمراقبين إلا عملاً عبادياً، وهدفاً للزهاد والرهبان، مؤثراً في إبراز حالة الخضوع والتسليم في العلاقة بالخالق. لكن دراسة لآداب هذه الفريضة السامية، وشروطها، ومضامينها، وحقيقتها تبرزها كعامل مهم في إصلاح نفوس البشر، والسيطرة على انظمة المجتمع العامة إضافة إلى اقرارها كعمل عبادي.

وأساساً فإن كل عبادة وطاعة يقوم بها الإنسان وفق التكليف لا يمكنها ــ لاستغناء الذات المقدسة ــ أن تعود بأدنى نفع على الذات الربوبية، أو تتضمن فخراً ومباهاة أو إرضاء رغبة في المبدأ الأبدي الدائم. كما أن الكائنات جميعاً لو كفرت لم يعلق بثوب كبريائه ذرة من غبار!

وإذ لا نفع يعود عليه، ولا حاجة به إلى شيء وهو صاحب العظمة المطلقة، والعالم بأسره خاضع تكويناً له، فلم شرع ما ينم عن الخضوع، وينبئ عن الطاعة، وعدها واجبات على الإنسان. وإذا أمكنه رزق الجميع من خزائنه اللامتناهية اللامتناقصة، ومضاعفة النعم، فلماذا يأمر الإنسان المولع بالدنيا، العالق بها أن يبذل بعض ماله المحدود؟ وما الهدف من وراء هذه التشريعات؟!

إن شكر المنعم، وطاعة ولي النعمة أمر أخلاقي وعاطفي وإنساني بل لاتني الحيوانات ذات الشعور والاحساس أيضاً عن أداء الواجب هذا. فهل الشكر والحمد والثناء عند منعم كرب العالمين كما هو عند الإنسان الفقير مادياً ومعنوياً؟... الإنسان الذي يهب بعين الأمل، ويترك الشكر في نفسه أثراً مشجعاً ومرضياً على القلب؟

(سبحان ربك رب العزة عما يصفون)[5]. **(ما لكم كيف تحكمون)**[6].

(ومن شكر فإنما يشكر لنفسه)[7].

إن نظرة كهذه إلى الصلاة يجعلها تبدو عملاً شاقاً، ويحيل الانقطاع عن المشاغل الدنيوية ــ العائدة للإنسان والمختصة بتقدمه ــ أثناء إقامة الصلاة أمراً عسيراً.

(وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين)[8].

الصلاة شاقة إلا على من يدرك مقام الربوبية، يؤمن بعظمة الخالق وغناه، ويعلم أن الصبر والصلاة عاملان معينان على إحرازه التقدم في أموره، ونيل أهدافه ومقاصده، وسمو نفسه وتكامله[9] وليسا عاملين معينين على ربوبية الرب!

وبعد إذ فتحنا زاوية جديدة في النظر إلى الصلاة والعبادات الأخرى ننصرف إلى دراسة آثار الصلاة، واسرارها، على أمل أن يذيقنا الله طعم هذا الغذاء الروحي، ويلهمنا تجنب التقصير والتهاون في الصلوات.

١ ــ تلبية حاجة الإنسان الباطنية والنفسية:

لاريب أن الإنسان يفتقر للفرار من العزلة، وسلوك سبيل المعيشة الإنسانية والحياة الطيبة، والتخلق بالأخلاق الكريمة الفاضلة، والتخلص من الشعور باليأس والكلل والملل إلى عامل بمقدوره أن يسيطر على روحه، ويسخرها له، ويلزمها تفادي الانحرافات وتجنب المعاصي والموبقات، ويلهمه روح التعاون والتآلف والمحبة والتعاطف، ويبعث فيه الحيوية والنشاط حين يذوي وينهار، ويتعب ويمل.

وعلماء النفس والاجتماع والمتخصصون في الأمور التربوية يجمعون على أن هذه القوة تنشأ من مصدر العقيدة إذ يقول عالم النفس الانجليزي المعروف "هنري لنك" عقب إجرائه تحقيقات واسعة ومتشعبة على أكثر من عشرة آلاف إنسان كئيب ومجرم وضال ما يلي: "ادرك اليوم جيداً ما للاعتقاد الديني من أهمية في حياة الإنسان. فقد عثرت من خلال هذه التجارب على نتيجة مهمة هي: إن من يدين بدين، أو يؤمن بعقيدة، أو يرتبط بمعبد يتمتع بشخصية إنسانية سامية، ويحظى بكرامة خاصة قياساً إلى الخليّ من الإيمان المفارق للعبادة"[10].

ويقول عالم روسي: "لا تكمن مشكلتنا في صحة المذهب الرأسمالي أو الشيوعي بل في استبدال الثقافة المادية بثقافة إنسانية"[11].

ونشر مركز الصحة النفسية في جامعة سانت لويس في أميركا كتاباً تحت عنوان "العوامل المنسية في الصحة النفسية" تناول فيه المذهب وأنه أهم وأكبر العوامل المؤثرة في الصحة النفسية وحفظ سلامة المجتمع، وأكد: "أن من يذهبون إلى الكنيسة مرة كل أسبوع يعانون من مشاكل نفسية أقل".

ويقول يونك عالم النفس المعاصر المعروف: "عالجت مئات المرضى فلم أجد من بين كل من عالجتهم من لا تكون مشكلته على ارتباط بالعثور على العقيدة الدينية في الحياة. أقول ــ مطمئن البال ــ إن كل واحد منهم صار مريضاً لأنه أضاع ما أتت الأديان الحية في كل عصر أتباعها. فلا علاج لهم ما لم يستعيدوا عقيدتهم الدينية"١[12].

فما يعذب العالم الغني بالتقنية والتصنيع الحديث اليوم هو الشعور بالفراغ الروحي، وافتقاد الاطمئنان النفسي إذ تخصص المراكز الصحية ٥٠% من اسرة المستشفيات في أميركا للمصابين بالأمراض النفسية والروحية، ويتناول أكثر من ٧٥% من تلامذة المدارس الإعدادية فيها المواد المخدرة١[13].

وقد ابدى قادة الغرب والشرق في العام ١٩٦٢ قلقاً شديداً إزاء فقدان عنصر الدين عندهم، وتوقعوا مستقبلاً مثيراً للقلق في بلدانهم.

فكندي يقول مثلاً: "سيواجه أميركا مستقبل مفجع فالشباب منغمس في الملذات، عازف عن تنفيذ الواجبات التي بعاتقه بدقة. إذ يظهر في كل سبعة ممن يبعثون لأداء الخدمة العسكرية من الشباب ستة متميعون غير لائقين".

ويقول خروشوف في اعترافاته حول فقدان عنصر الدين وعواقبه: "إن مستقبل الاتحاد السوفيتي في خطر، إذ يفتقد الشباب تماما كل ما يبعث على الأمل فكم غدوا متحللين وأسرى شهوات"١[14].

وفي خضم أمواج قلقهم واضطرابهم هذه يعد القرآن الكريم **(ذكر الله)** خير شاف ومسكن للأفئدة والقلوب، ويعتبر الصلاة خير مصداق للذكر. فكل تشوش وانفعال، وقلق واضطراب يمكن معالجته بإقامة ذكر الله على فواصل ليلية ونهارية مختلفة، فيهدأ الكيان المنفعل، ويخفت جموح الهوى، ويجد القلب الآيس ريح الأمل. وقبل أن يؤول الأثر الحاصل من معدن الفيض هذا إلى النقصان حتى يصدح صوت المؤذن أخرى، ليضيف رمقاً آخر إليه.

استعادة الطمأنينة وضبط الهوى:

يؤدي الشعور بعدم الاستقرار وفقدان الثبات في عالم الطبيعة، وتقوض الحياة الدنيا واضمحلالها من جهة، وعدم تلبية الطبيعة حس الإنسان اللامتناهي بالحاجة من جهة أخرى إلى أن يعتري روح الإنسان اضطراب دائم، ووحشة أبدية. فهو يروم شيئاً لا وجود له في عالم المادة، ويبحث في الدنيا عما ليس فيها. إنما الصلاة التي تربط الإنسان بالذات الأبدية الدائمة، وتمنيه وتعده الخلود. هي تلك اليد الممتدة من الإنسان نحو من يتناسب وحاجته ومراده. فلذا يجد الإنسان الطمأنينة والهدوء حين الصلاة، وينبعث فيه الأمل بالحياة غير أن شرط ذلك عدم غيبوبة "الروح" ذلك الرابط الأصلي في هذا السفر الروحي.

إقامة الصلاة بالشرط المذكور تذكر الإنسان مقام الخالق ومنزلته، وميعاد المخلوق وميثاقه ومعاهدته. ولذا كان كلما دعته نفسه، وحدثه شيطانه بمخالفة ربه أجاب:

(معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون)[15].

فكما أن كريات الدم حين تكون حية تعتبر رمزاً للحياة، وإلا لم يكن لها نفع وفائدة، وكما أن الحارس يستطيع الحراسة حيث يكون حياً، كذلك الصلاة عندما تكون حية بحضور القلب تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتكبح جماح الهوى والشهوة، كيف لا تؤثر ذلك؟ كيف يمكن لإنسان سأل الله تبارك وتعالى مخلصاً أن يسلك به سبيل الصالحين، ويجنبه طريق الضالين، ويعاهده على عبادته، الاستعانة به أن ينقض ــ بعد فترة قصيرة ــ عهده وميثاقه مع شخصية عظيمة كالله سبحانه رب الدنيا والآخرة؟!

الصلاة لباس الطهر والنقاء والسناء الذي يلف قوام الإنسان، ومن يلبس البياض عليه أن يحذر ارتياد الأماكن القذرة، ويصون نفسه من مباشرة القذارات والأوساخ.

مقترحات الآخرين للسيطرة على الاضطراب

يعتبر البعض الإباحية الجنسية أو الضمان الاقتصادي، والأمن والسلامة سبلاً لإحكام السيطرة على الاضطرابات النفسية، ويستنكرون العلاج المتقدم، إذ كيف يمكن كبح جماح الشهوة، ومواجهة ضغط الجوع بذكر الله؟! كيف يمكن ذلك بدون الانصياع والمبادرة إلى توفير كل واحد من هذه الأمور بما يتناسب وضغط كل واحد منها؟ ونجيب: إن الإسلام لم يغفل عن لزوم اشباع كل من حاجات الإنسان حيث اقترح الزواج بقسميه الدائم والمؤقت، واعتبره عامل تحقق السكون والطمأنينة في الإنسان، وعد المشكلة الجنسية من مظاهر الحكمة الإلهية إذ يقول عز من قائل؟

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها)[16].

وأما التحلل الخلقي، والاباحية الجنسية فهل استطاعا تحقيق السكون والطمأنينة للإنسان؟ ينبغي لمعرفة الجواب إلقاء نظرة فاحصة على إحصاءات الطلاق، والأمراض والعقد الروحية والنفسية والبدنية فمن سلك سبيل الإباحية الجنسية من الرجال والنساء، وراحوا يفعلون كل ما يرضي شهواتهم ويستغلون هذا المجال المفسوح استغلالاً لا يقف عند حدً، ولا يحول دونه حائل.

لقد حظي الزواج في الإسلام بالتأكيد المستمر عليه، والدفاع الدائم عنه، باعتباره يمثل ضرورة، وحاجة طبيعية تتلاءم والفطرة الإنسانية. ونحن على اعتقاد أن طريقة الإسلام ونهجه في إقامة علاقات سليمة في إطار الزواج لو قوبل بالاهتمام المناسب، وعني به العناية الكافية من قبل أفراد مجتمع معين، لما كان الجنس والاضطراب الجنسي يثير أدنى قلق لذلك المجتمع. ولقد أولي الاطمئنان الحاصل بفضل الزواج درجة من الاهتمام عالية في الروايات حتى قال رسول الله (ص) فيه:

"**من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني**"١١[17].

وقال في رواية أخرى: "**أيما شاب تزوج في حداثة سنه عج شيطانه: يا ويله! عصم مني دينه**"١١١[18].

وجاء في الحث على الزواج، والترغيب فيه:

"**من أحب أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليلقه بزوجة**"١١[19].

وجاء في رواية أخرى:

"**ركعتان يصليهما متزوج أفضل من سبعين ركعة يصليها غير متزوج**"١١[20].

إن عجز الانحلال الخلقي، والإباحية الجنسية والمشاعية العامة عن تحقيق الهدوء والسكينة، واستحالة وقوعها مطلوبة ومباركة أمر ملموس وواضح، ولا يتطلب بحثاً أو تحقيقاً. وما التحقيقات والنماذج والشواهد العينية الحاصلة في هذا المجال إلا مؤكدة لهذا الأمر وهذه الحقيقة لا غير.

هذا ما يتعلق بالتحلل والإباحية الجنسية.

وأما ما يتعلق بالضمان الاقتصادي فلجد ما عني الإسلام بدور الفراغ المالي في حدوث الاضطراب النفسي فإنه وصف الفقر في الروايات:

"**الفقر هو الموت الأكبر**"١١[21].

"**الفقر أشد من القتل**"[22].

"**إن الفقر مذهلة للنفس، مدهشة للعقل، جالب للهموم**"[23].

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق (ع) في عد عوامل الاضطراب المختلفة جاء:

"**خمس خصال من فقد منهن واحدة لم يزل ناقص العيش، زائل العقل، مشغول القلب، فأولها: صحة البدن، والثانية: الأمن، والثالثة: السعة في الرزق، والرابعة: الأنيس الموافق. قلت: وما الأنيس الموافق؟ قال: الزوجة الصالحة، والولد الصالح، والخليط الصالح، والخامسة: وهي تجمع هذه الخصال: الدعة**".

فديننا لا ينكر بحال دور العوامل المختلفة في تقليل حدة الانفعالات، والاضطرابات والسيطرة عليها. فهو لا يأمر من في أوج المعاناة الجنسية بالصلاة ليكتفي، ولا من يقاسي آلام الجوع ليشبع، ولا من يكابد أوجاع المرض ليعافى، فإن لكل منهجاً وسبيلاً. وطي كل من هذه المناهج والسبل بلوغاً إلى الغاية والمقصد له لوازمه المفروضة من قبل الله سبحانه ورسوله، غير أنا ندعي:

١ ــ أن رغبات الإنسان وشهواته لا حد لها، فإشباعها بالوسائل المتوفرة في عالم الدنيا أمر مستحيل. والاشباع المقطعي لا يحقق الاطمئنان المطلوب.

٢ ــ إن الاشباع غير السيطرة والحدة، فالسيطرة على مكروب مثلاً يختلف عن القضاء على عينة منه.

٣ ــ ان الذي جعل يوسف الصديق (ع) يقف راسخاً مطمئناً في مواجهة الموقف المثير ذاك هو ذكر الله[24]. كما أن القوة القادرة على طرد الوهن عن عزم المؤثرين، وتدفعهم إلى بذل طعامهم للمسكين واليتيم والأسير، وهم جياع هي قوة الإيمان بالله[25].

٤ ــ لم يقدم إلى الآن مثال واحد تمكن فيه التحلل والاباحية الجنسية أو وفور الثروة عن خلق وتحقيق حالة الطمأنينة والاستقرار في أمة أو شعب. بل الملاحظ أن في القصور الفارهة من الاضطرابات الروحية والنفسية والعاطفية ما لا يرى في الأكواخ الضيقة!

وقد ثبت ــ كما يبدو من الاعترافات السالفة ــ أن أحداً من زعماء الدول المنادية بالاباحية الجنسية وحرية الجنس المطلقة غير راض على السلامة النفسية والروحية لشعبه.

الدرس الثاني

٢ ــ تدارك الذنوب والآثام:

كثيراً ما تسبب مكائد الشيطان، ونوازع النفس المتكررة، والمغريات المختلفة في حياة الإنسان، والالقاءات والتسويلات التي تعرض له في صدور الخطايا والآثام والذنوب منه بصورة متعاقبة. وهذا الأمر من الغلبة والكثرة ما يجعل الإمام السجاد (ع) يخاطب الله واصفاً حال العباد في دعاء أبي حمزة الثمالي بقوله:

"خيرك إلينا نازل، وشرنا إليك صاعد، ولم يزل ولا يزال ملك كريم يأتيك عنا بعمل قبيح"[26].

فارتباط بهذا النحو بين الخالق والمخلوق، وعصيان كهذا من عبد يخالف خالقه الرحيم رغم ضعفه وفقره وفاقته يؤدي عند تواصله دون تدارك وتلاف إلى قطع الأمل بالمستقبل، واتساع الفاصلة تدريجياً بينهما، ويجعل الإنسان مستحقاً لعقاب الله ومستوجباً لغضبه.

ومع أن الإنسان يختار البعد عن بحر رحمة الله سبحانه جهلاً منه وتهاوناً بحق خالقه، لكن الله الرحيم الذي يحب آحاد عباده فوق ما يحب الوالد ولده لا يرضى بعداً ونأياً كهذا فيدعوه للجلوس على مائدة الصلح، ويحثه على مكالمته الشيقة المتمثلة بأذكار الصلاة، ويناديه في القرآن الكريم بعبارات يفيض منها الود واللطف إذ يقول:

(وأقم الصلاة طرفي النهار، وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)[27].

وقد جاء في رواية عن رسول الله (ص) أنه قال:

"إذا قمت إلى الصلاة، وتوجهت، وقرأت أم الكتاب، وما تيسر من السور، ثم ركعت، فاتممت ركوعها، وسجودها، وتشهدت وسلمت، غفر لك كل ذنب فيما بينك وبين الصلاة التي قدمتها إلى الصلاة المؤخرة"[28].

وفي رواية أخرى عنه (ص) يشبه الصلوات اليومية بنهر على باب دار يغتسل فيه صاحبها خمس مرات في اليوم كيف يزول القذر من بدنه روح الإنسان تغسل من حيث الذنوب كل قذر ووسخ فهكذا خمس مرات في اليوم.

ويصف رسول الله (ص) الآية السالفة في رواية بأنها أرجى آية في كتاب الله ويقول: **"والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً، إن أحدكم ليقوم إلى وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب، فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفتل عن صلاته وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أمه"**[29].

وفي رواية أخرى عنه قال: "**سمعت منادياً ينادي عند حضرة كل صلاة فيقول: يا بني آدم قوموا فأطفئوا عنكم ما أوقدتموه على أنفسكم، فيقومون، فيتطهرون فتسقط خطاياهم من أعينهم، فيصلون فيغفر لهم ما بنيهما، ثم توقدون فيما بين ذلك، فإذا كان عند صلاة الأولى نادى: يا بني آدم! قوموا فأطفئوا ما أوقدتم على أنفسكم، فيقومون، فيتطهرون، ويصلون، فيغفر لهم ما بينهما فإذا حضرت العصر فمثل ذلك، فإذا حضرت المغرب فمثل ذلك. فإذا حضرت العتمة فمثل ذلك فينامون وقد غفر لهم**"١١١[30].

وفي حديث آخر عن أمير المؤمنين علي (ع) قال:

"**الصلوات الخمس كفارة لمن بينهن ما اجتنب الكبائر وهي التي قال الله تعالى: (إن الحسنات يذهبن السيئات)**١١[31].

ويشبه (ع) في حديث آخر له تساقط ذنوب المصلي بتساقط أوراق الشجر١[32]. وقد أثني على الصلاة بوصفها بأنها ثمن الجنة١[33]، ومهر نسائها ومفتاحها، وجواز العبور على الصراط، وستر من النار والعذاب الإلهي، وأنها زاد المؤمن، وأنيسه في قبره، وتاج فخره يوم القيامة، وجواب منكر ونكير، ونور على وجهه عند المحشر، وسلم رقيه إلى الدرجات العليا١[34]، وأنها سبب خزي الشيطان١[35]. وكل واحد من هذه التعابير يكشف عن مدى ما للصلاة من تأثير في محق الذنوب، وتداركها وتيسير حسابها.

٣ ــ تقوية القابلية على التركيز
٤ ــ تحكيم العدالة الاجتماعية
٥ ــ اكتساب الوقار الشخصي والاتزان الأخلاقي!
٦ ــ التحلّي بالنظم والانضباط
٧ ــ استحكام الإيمان
الدرس الثالث
٨ ــ أنس الإنسان الفطري بالعبادة
٩ ــ عمومية النظرة
١٠ ــ الصلاة منعتق من الانشغال بالنفس ومحذر من ضياع العمر
١١ ــ مصاحبة الكون
١٢ ــ الصلاة مصحة للبدن، ومطهرة للباس

٣ ــ تقوية القابلية على التركيز

تقدم أن الاضطرابات الفكرية، والصراعات النفسية هي من الأمراض المهلكة التي تهدد البشرية في القرن العشرين. ولذا يحاول العلماء والمتخصصون في علم النفس بكل حزم وجد ابتكار طرق تقلل وطأة العبء الفكري الذي يعاني منه الإنسان المعاصر، وتوفير الراحة لفكره ونفسه فترة من الزمن، وإنقاذه من التقلبات الروحية. فإن السيطرة على الشوارد الذهنية شرط أساسي لبلوغ النبوغ، وفهم المسائل، وإدراك الأمور. ولذا انصب السعي دوماً وأبداً على أن تكون الأماكن المعدة للمطالعة اعظمها هدوءاً، وأروعها رونقاً، وأجملها منظراً، كي يتمكن من تركيز الذهن، ورفع الاضطرابات.

يصرح أحد علماء النفس المعروفين يدعى "ويليام مولوتون مارستون" في المجلة المختصرة من "ريدرز دايجست" بقوله: "إن أكثر الناس يعجزون عن تركيز حواسهم على خصوص ما أوكل إليهم. وشرود الذهن هذا هو الذي يصيبهم بالحيرة والارتباك، ويوقعهم في الخطأ والاشتباه. والحال أن العقل البشري إذا تمكن من تركيز انتباهه على أمر تركيزاً قوياً فإنه سيؤدي دور أداة حيوية مؤثرة".

ثم يضيف مستشهداً بقول عالم من علماء النفس آخر يطلق عليه لقب "أبو علم النفس" فيقول:

"الفرق بين النابغين وعامة الناس يكمن في القدرة على تركيز الذهن والسيطرة على القوى العقلية، لا ي الاستطاعة والصفات الفكرية الأخرى"[1][1].

---

١ [1]روح الصلاة في الإسلام ــ عفيف عبد الفتاح طبارة ص٣١.

إن الصلاة خمس مرات في اليوم تضع الفكر في مدار التركيز، وتيسر عملية تنامي القدرة على تركيز الذهن. وما جاء في الصلاة كالوقوف عند الباب المفتوح، وقبالة المرآة، وأمام الصور، ولوحات الرسم، والصلاة متضائقاً وغيرها يصب جميعاً في مدار الوصول إلى الدرجة القصوى من التركيز.

إننا إذا استطعنا سوق فكرنا بقوة وحزم للسير في مسار المعنويات فما من شك أن ستظهر جميع أدوار تركيز الذهن وآثاره، وتلقيات الإنسان المعنوية، ونموه الروحي، وتحصل لأذهاننا خارج الصلاة ملكة إحكام الاستقرار في المدار المعين والمحدد، ويتحقق لنا سكون واطمئنان خاصان.

٤ ــ تحكيم العدالة الاجتماعية

على المصلي إذا أراد الصلاة رعاية عدد من الشروط اللازم توفرها في لباسه، ومكسبه، ومكان صلاته، وكذا رعاية حقوق الغير مثل دفع الزكاة، واجتناب الغيبة، والاهتمام بحقوق الناس كي تقع صلاته موقع القبول عند الله سبحانه وتعالى. وهذه القيود والالزامات ذات التأثير الكبير على كل حياة الإنسان تخرج الصلاة عن هيئتها كعمل فردي وشخصي لتبدو على شكل نهج تربوي، وظاهرة اجتماعية مستمدة من صلب الحياة، مما يحيلها عاملاً في مسير تحقق العدالة الاجتماعية وتحكيمها.

إذ كما تعتبر الصلاة في الثوب المعدّ من مال الحرام مردودة، ومرفوضة، كذلك وصفت الروايات صلاة من أسخط أبويه[1][2]، أو اغتاب مسلماً[1][3]، أو المرأة التي أسخطت زوجها، أو من يمنع الفقراء حقهم، أو إمام الجماعة الذي لم يكن الناس راضين عنه[1][4]، أو من لامست شفتاه المسكر[1][5]، بأنها غير مقبولة.

٥ ــ اكتساب الوقار الشخصي والاتزان الأخلاقي!

لاريب أن بعض الظواهر والحوادث تختلف تأثيراً عميقاً في سلوك الإنسان وشخصه، وتحدث تحولاً كلياً في مستقبل حياته. فكل إنسان منا يحتفظ في ذاكرته ببعض الخواطر عن حوادث كانت سبباً في تحول طبعه وترك عادته وسلوكه إلى عادة وسلوك آخرين.

والصلاة والمداومة عليها يمثلان ــ بتصريح القرآن ــ واحداً من هذه الأسباب والعوامل حيث تترك الصلاة تأثيراً كبيراً على خلق الإنسان وشخصه فهو يقول واصفاً عامة الناس:

(إن الإنسان خلق هلوعاً، إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون)[6].

فالمصلي يكتسب من خلال المفاهيم والمعاني السامية التي يلقن بها نفسه باستمرار، والسكون والطمأنينة الحاصلين بذكر الله وقاراً في الشخصية، واتزاناً في الخلق، واعتدالاً في السلوك ما يستطيع معها السيطرة على انفعالاته النفسية التي تحدث بسبب تقلبات الحياة.

وقد تعرضت الزهراء (ع) في خطبتها العصماء التي ألقتها في جمع من نساء المدينة المنورة إلى فلسفة العبادات ووصفت الصلاة بقولها:

"فرض الله الصلاة تنزيهاً من الكبر"[7].

والسبب الذي يجعل للصلاة هذا التأثير في شخص المصلي وسلوكه هو أن المصلي يكون بفضل الصلاة ذا قلب مطمئن بأن الله أكبر من كل العلائق والنوازع والمغريات، وكل الأشراف والوجهاء والأعيان، وجميع القوى والوسائل والأدوات، ويرى نفسه على ارتباط بمصدر قوة العالم في قبضته، والعالمون مربوبون له، وهو مع ما عليه من القدرة والجبروت رحمان رحيم، وحكومته غير محدودة بالدنيا، ولا مقصورة عليها بل هو مالك يوم الدين والحساب أيضاً.

إن الطمأنينة القلبية المنبعثة من كيان المصلي في إطار أذكار الصلاة تمنحه وقار الشخصية، وهدوء النفس.

كما أنه يكتسب ــ من خلال تذكره مصير البشرية، ومستقبل حياة الناس واليوم الآخر منها ــ شخصية ذات نظر مستقبلي، وفكر عال غير ضيق ولا محدود[8]، ويحصل ــ من خلال ربط آماله وتعلقاته الروحية برب الكون، واستعانته به[9] ــ على نفس أبية، وقلب مطمئن، منعتق من كل خوف واضطراب، وخال من كل أمل وتوقع من الغير... المصلي يلقِّن نفسه في كل يوم وجوب اتباع الصالحين، ونهج سبيل الهداية[10]، واتخاذ موقف في مواجهة الضالين[11].

٦ ــ التحلّي بالنظم والانضباط

إن أجمل صورة معبرة عن سيماء الفرد والمجتمع وخصائصهما وميزاتهما صورة النظم والتقيد والانضباط. فإنما يقابل المرء في أي من النشاطات ومراحل الحياة بالقبول والاستحسان إذا حلى تعامله وسلوكه، وزين كتاب حياته بالانضباط. وهذه الصفة لا يكسبها حد إلا بالدقة الفائقة، والتمرين المتواصل. لذا فمن المحتم على الإنسان أن يقيد نفسه في الحياة

برعاية النظم في البرامج، ويلزمها ببعض الأمور لتتحول هذه الالزامات والتقيدات بالتدريج إلى ملكة تتجسد في جميع شؤون حياته.

والصلوات اليومية إذ تدخل في أوقات محددة برنامج الحياة اليومية بوصفها أمراً إلزامياً دينياً تضفي على صفحة الحياة والنشاطات اليومية: الوظيفية والرتابة، وتبعث في الإنسان روح التقيد والالتزام بالوقت، ورعاية المنهج والنظام. فلو تحرينا بدقة شواهد النظم والمنهجة في الصلاة لوجدناها تدخل كل أجزائها، إذ تنطوي الصلاة من ألفها إلى يائها على نظام جميل رائع. فهي في المقدمات وترتيب أدائها المنطقي وفقاً للظروف المختلفة (الغسل فالوضوء فالتيمم)، وكذا في الاستقبال وحركة اليد، وأعضاء البدن، وعدد الركعات لكل وقت، ولباس المصلي ونوعه، ومكان المصلي ومسجده كلها تتضمن منهجاً وهدفاً ونظاماً معيناً. كما أن في اللحن والقراءة... منه، وفضل وضوئه، والتراب الذي يسجد عليه، وما يؤدي من تعقيبات بعد الصلاة ترتيباً ومنهجاً. وللصلاة في صف الصفوف، وزينة المصلي ومظهره منحى وتوجيه خاص. إن في الزام المصلي بهذه الشرائط والقيود كل يوم احياء لروح الانصياع للتقيد والالتزام الأمر الذي يرسخ في نفس الإنسان الانضباط ورعاية النهج والنظام في سائر شؤون الحياة.

٧ ــ استحكام الإيمان:

ما من جيش ولا منظمة إلا وتعلم أفرادها وأتباعها نشيداً يبعث فيهم روح المقاومة والصمود كل صباح ومساء، ويصنع من إرادتهم وعزمهم إرادة حديدية وعزماً لا يلين.

وجيش الوجود، وذراته التي تتراءى للعيان جامدة، هامدة تنشد كل صباح ومساء نشيد الثبات والصمود في طاعة الخالق.

(وإن من شيء إلا يسبح بحمده)[١١][12].

كل ذرات الوجود في الخفاء — تنبئ الناس صباحاً ومساء
نحن سمعى، مبصرون، اذكياء — غير أنا نتحاشى الغرباء
اعلموا إذا تقصدون الجامدات — قد قصدتم بعض أسرار السماء

ففي الصلوات اليومية يشترك الناس ــ وهم قطب رحى نظام الخالقة ــ مع سائر ذرات الكون في الانشاد ــ صباحاً ومساءً ــ لينشدوا نشيداً ملؤه الحمد والشكر والثناء، وإعلان آيات

العهد والوفاء في إطاعة رب الكون... نشيداً تتجلى فيه روح الطاعة والالتزام بالمبادئ العقيدية والأخلاقية والعاطفية والسياسية البارزة... نشيداً يبعث روح رفض الكفر والضلال، ويقوي في الإنسان جانب التمسك بالنظام، ورعاية نهج أخلاقي محدد وواضح.

الدرس الثالث

٨ ــ أنس الإنسان الفطري بالعبادة

حفل تاريخ البشرية بأنحاء مختلفة من العبادة التي أبتدعها الناس واختاروها فطالما اتخذ الناس على مر التاريخ أشياء مختلفة للعبادة، حيث اتخذت من مواد مثل الخشب والحجر والشمس والقمر والماء والنار والحيوانات المختلفة آلهة ومعبودات ومسجودات لأمم مختلفة. كما أن عبادة الملك والشهوة بكل أشكالها القبيحة، والشهرة والهوى والوطن لا تمثل إلا بعض المسالك المنحرفة للعبودية، حيث كان كل واحد من هذه المسالك موالون وتباع على مر العصور.

وعلى أية حال فإن أنحاء العبادة هذه ومسالكها وطرقها المختلفة تنبئ بأجمعها عن حاجة في نفس الإنسان إلى العبادة.

هذه الحاجة التي تؤدي في حال عدم رفعها واشباعها إلى أن تتعرض الروح إلى حالة من الشعور بالفراغ. يقول الاستاذ الشهيد المطهري:

إن أجلى تجليات روح الإنسان، وأعظمها قدماً، واعمقها غوراً وأصالة في أبعاد النفس الإنسانية حسه العبادي. إذ تشير الأبحاث الأثرية في حياة الإنسان إلى أن أصل العبادة كل موجوداً حيث كان الإنسان موجوداً. وإنما وقع الاختلاف في شكل العمل العبادي وشخص المعبود. أما الاختلاف في شكل العمل العبادي فمن أنحاء الرقص والحركات الجماعية المتناسقة، المصحوبة بسلسلة من الأذكار والأوراد، إلى أعلى درجات الخضوع والخشوع، وأعظم الأذكار والأوراد والمحامد. وأما الاختلاف في المعبود فمن الحجر والخشب وحتى ذات القيوم الأزلية الدائمة المنزهة عن حدود الزمان والمكان.

فالأنبياء ما جاءوا بالعبادة، ولا ابتدعوها من عدم، إنما جاءوا لتعليم الناس كيفية العبادة أي طبيعة الآداب والأعمال التي ينبغي أن تتخذ العبادة شكلها هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنهم حالوا دون عبادة ما سوى الذات الأحادية الواجبة (التوحيد)".

ثم يضيف (ره): يعتقد بعض العلماء (مثل ماكس مولر) أن الإنسان كان في أول أمره موحداً، يعبد ربه الحقيقي، وأن عبادة الأصنام أو القمر أو النجم أو الإنسان قسم منحرف من العبادة لم يحصل إلا متأخراً. فالإنسان لم يبدأ عبادته بالصنم أو الإنسان ليتكامل بتكامل الحضارة فيبلغ حدّ عبادة الله الواحد. وإنما غريزة العبادة المعبر عنها في بعض الأحيان بالحس الديني موجودة لدى جميع افراد الإنسان"[13].

ويمكن معرفة مدى عمق هذا الاتجاه واصالته من خلال الأبنية المخصصة للعبادة، وفخامتها وانتشارها على مر التاريخ. فبينما يحيا الناس في بيوت مبنية بالطين مثلاً نجدهم يشيدون الكنائس والمساجد وغيرهما، ويعمرونها بأحسن أنحاء العمارة، ويتحملون الحروب الضارية، والمعارك الضروس دفاعاً عن آلهتهم وأربابهم.

وللإنسان أن يسأل نفسه ماذا عليه أن يعبد؟ وكيف؟

لا ريب أن البحث عن استحقاق موجود العبادة أم عدم استحقاقه من اختصاص العقل وحده. فإبراهيم أبدى لدى مواجهته عباد القمر متابعة لهم على ذلك، فلما أفل وغاب عن الأنظار عده فاقداً للاستحقاق. ثم ولى وجهه الشمس، وابدى تعلقا ظاهراً بها حيث كانت أكبر ضياء وأعظم سطوعاً فلما أفلت وغربت عدّ زوالها وعدم ثباتها دليلاً على لزوم الاعراض عنها[14].

ثم يبطل القرآن الكريم بقاعدة عقلية عبادة ما لا إرادة له ولا اختيار فيقول:

(ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون)[15].

(قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون)[16].

فهو يعد الأمر بعبادة غير الله مع تمركز كل القدرات والقوى والامكانيات فيه سبحانه امراً شائناً عن الجهل. وإذا كانت العبادة لا تليق عقلاً إلا به فأدب العبادة يجب أن يستوحي منه أيضاً، وكل ما لا يصب في هذا المصب، ويستمد مادته من هذا المنحى والاتجاه ليس أهلاً للقبول والاستحسان. فقد أثبتت التجربة أنه كلما أراد الإنسان أن يبتكر السبيل لابراز العبودية لله كما صنع راعي بني إسرائيل في مناجاته عجز عن أن يبدي أدباً مقبولاً في هذا الصدد. ويتعرض القرآن الكريم لنموذج من الابتكارات الخاطئة هذه فيقول:

(وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون)[17].

ويعبر الشهيد الشيخ مرتضى المطهري عن ذلك فيقول: إن رسالة القرآن ودعوته: أيها الإنسان! اعبد ربك خير الرب، فهو المالك لأمرك، والمالك لكل مقدرات الكون، هو الذي لو جازت عليه الغفلة آناً واحداً لتلاشى كل شيء"١[18].

(الذي خلقكم والذين من قبلكم)١١[19]

٩ ــ عمومية النظرة

إن حياة الإنسان رهن النظرة الشاملة والفكرة الواسعة المستوعبة، وروح الانسجام مع البيئة والمحيط الاجتماعي، وموافقه الجماعة. ومع أن الصلاة لا تتسم بكونها من النشاطات والفعاليات الجماعية ظاهراً. حيث تبدو بهيئة عمل إقراري فردي بحسب الظاهر، لكنها عبئت في المواضع المختلفة منها بالحضور في الجماعة، ومواكبة الجمع، ومسالمة العموم فمن أول جملة يفتتح بها المصلي صلاته يبدأها باسم الله واصفاً إياه بالرحمانية العامة الاشملة ثم مشيراً إلى صفة الربوبية المستغرقة لعموم العالمين ثم معلناً بلسان الجماعة انحصار العبادة والاستعانة بالله وحده وإن كان يصلي منفرداً، وإلى أن يطلق في التسليم لحن السلم والصلح والسلام على جمع الحضور وعباد الله الصالحين يعزف في ذلك كله نغم الوئام والحياة السليمة المشتركة.

فالالفاظ المستعملة في الصلاة عادة ما تكون عامة ومطلقة، أو تكون عن الغير والظرف المتعلق بها عاماً فالله في **(الله أكبر)** مثلاً أكبر من ماذا؟ هو أكبر من كل شيء. وهو رب من؟! رب جميع العالمين. وكذا إياك نعبد وإياك نستعين فانها بصيغة الجمع أيضاً.

كما أن الأعمال الواجبة في الصلاة تؤدي جماعة أيضاً.

إذا كان المصلي مأموماً فلا يقرأ الفاتحة ولا السورة وإنما يواكب إمام الجماعة بإصغائه إلى قراءته، ويتابعه في الركوع والسجود وغيرهما...

وفي الصلاة ترعى حرمة الجماعة وحقوقها، ابتداء من اللباس ومكان الصلاة إلى سائر التوصيات الحقوقية الأخرى مما يمثل بمجموعه تطبيقاً ومثالاً للعدالة الاجتماعية.

وكما تنطوي الصلاة على روح السلم والصلح والوئام في ثناياها وطياتها نلاحظ ورود النهي في آداب الصلاة عن وضع السيف والسلاح أمام السجادة أو...

ومن الأمثلة على عمومية النظرة وشموليتها عند المصلي أنه قد يدعو الله سبحانه وتعالى في القنوت بغفران الذنوب لجميع الجيران والأقارب، وكل الآباء والأجداد، وللمؤمنين والمؤمنات، ومن يخدم المجتمع، ومن اغتابهم أو اغتابوه.

فشارع الشريعة الإسلامية المقدسة يؤكد على التقيد بهذه الأمور جميعاً في قالب صلاة الجماعة، وأدائها بنحو جماعي، وقد ذكر أجراً عظيماً لمن فعل ذلك ترغيباً وحثاً عليها. إذن فالحياة السليمة المشتركة، وتجدد روح موافقة الجماعة يمكن أن يعدا من جملة آثار الصلاة وأسرارها، فإن آدابها ومضامينها تدفع الإنسان لا إرادياً نحو هذا الأثر.

١٠ ــ الصلاة منعتق من الانشغال بالنفس ومحذر من ضياع العمر

يؤدي الانهماك في الدنيا، وتعاقب متاعب الحياة ومشكلاتها إلى أن ينسى الإنسان حساب الليل والنهار وتصرم العمر وانقضاءه، وهذا الأمر يوجب أن يكون هناك ما يذكر الإنسان مرور الساعات، وينبهه على تقاطع العمر مع الليل والنهار. ونعم ما قال دام ظله في الكراس الذي كتبه عن الصلاة أثر الصلاة هذا فيقول:

"نادراً ما يتمكن الإنسان من تفريغ نفسه وتخليصها من المشاغل الفكرية التي تحيط به، ليتدبر نفسه وحاله، ومصيره، وتصاريف الحياة، ومرور اللحظات، وانقضاء الأيام والساعات. فما أكثر الأيام التي تنقضي ويخيم فيها الليل، وتبدأ أيام أخرى بعدها، والاسابيع والشهور التي تمضي وتتصرم دون أن يلتفت الإنسان إلى بدايتها ونهايتها، أو يشعر بنقصان العمر، وفراغ الحياة.

والصلاة ــ كجرس الايقاظ ــ منبه في ساعات الليل والنهار المختلفة، يحدد للإنسان برامجه وخططه، ويأخذ منه العهد بأن يعطي لنهاره وليله معنى وقيمة، ويحسب لمرور اللحظة حساباً. فهي تنبه الإنسان حين يكون غافلاً منشغلاً عن مرور الزمان، وانقضاء العمر، وتفهمه أن يوماً قد انقضى، ويوماً قد بدأ"[20].

فالغفلة عن انقضاء العمر يعد شاخصاً من شواخص البعد الحيواني في ذات الإنسان. إذ يقول القرآن الكريم بعد وصفه فئة من الناس بالأنعام:

(أولئك هم الغافلون)[21].

والصلاة تقصي الإنسان عن هذا البعد الحيواني وعن الغفلة، وتضعه في مدار الانتباه والوعي، وتظهر مقاطع الليل والنهار وتبرزها، وتخرج الإنسان الذي قال عنه القرآن:

(نسي خلقه)[22]. **(نسي ما قدمت يداه)**[23]. **(نسوا الله)**[24].

من دوامة الغفلة.

١١ ــ مصاحبة الكون

الكون في تسبيح دائم لله سبحانه. إذ يقول القرآن الكريم في ذلك:

(وإن من شيء إلا يسبح بحمده)[11][25].

وحتى صوت الرعد ما هو إلا معبر عن تسبيح إلهي[1][26].

فإذا كان ما لا شعور له ولا وعي ولا إدراك من المسبحين لله سبحانه كيف يسوغ للإنسان ذي الفهم والشعور والاحساس أن لا يخضع لعظمة الله؟... وإذا كان الآلي الوجود المسخر لخدمة الغير في حمد وثناء دائم للخالق (عز وجل) لماذا لا يصاحب الإنسان الاستقلالي الوجود واعظم الخلق نفعاً سائر الموجودات في تسبيحها للخالق!؟ أليس هذا خلاف المروءة؟!

إن الصلاة تتضمن أفضل أنحاء الخضوع وأروعها وأسماها، والإنسان في صلاته إنما يتابع الكون ويصاحبه، فيقدس مبدع الوجود وخالقه. وإنه لجميل هذا النشيد ــ نشيد الوجود ــ ويستحق الانشاد.

١٢ ــ الصلة مصحة للبدن، ومطهرة للباس

إن الوضوء والغسل وإن كانا من مقدمات الصلاة، وبفضل ذي المقدمة دخلا ساحة الوجوب والالزام ــ إذ لا يقال مثلاً: الصلاة واجبة ومفيدة، لأن في مقدمتها أي الوضوء أو الغسل صحة البدن وسلامة الجسم ــ إلا أنه يمكن للمصلي جنباً إلى جنب سلامة النفس، وحيوية الروح أن يحصل على شيء من الفوائد التبعية والجسمية أيضاً. فجسمه يتعرض يومياً من خلال الوضوء والغسل إلى الغسل عدة مرات، وهو ملزم بتنظيف مواضع الوضوء من الأوساخ والأقذار والموانع، كما أن عليه تطهير ثيابه، ورعاية مظهره الخارجي، وأخذ زينته[1][27]، والمحافظة على نفسه حين الصلاة أنيقاً معطراً ما وسعه ذلك[1][28]. وتأثير هذا لابد سيسري وينتقل إلى سائر شؤون حياته مما يجعل منه شخصية أنيقة ومرتبة.

يقول أحد الاخصائيين: "إن الانقباض والانبساط الذي يظهر على العروق الجلدية بسبب جريان ماء الوضوء عليها يزيد من حركة القلب، ويضاعف نشاط عملية التبادل، ويسهل حركة الجهاز التنفسي، وجذب غاز الاوكسجين، ودفع ثاني أوكسيد الكاربون. كما يبسط الأعصاب ويمددها ويصون العين من الاصابة بالأمراض المختلفة. هذا إضافة إلى أن غسل اليدين الاجباري بسبب الوضوء خمس مرات يومياً يشكل عاملاً وسبباً في نظافة اليدين، والوقاية من سريان المكروبات المختلفة إلى الفم، والابتلاء بمرض التهاب الأمعاء، وسائر الأمراض الأخرى صعبة العلاج"[1][29].

وقد خصص أحد اساتذة كلية الطب في جامعة الاسكندرية في مصر رسالته في الدكتوراه لدراسة تأثير الصلاة العجيب في صيانة الجسم من الأمراض العضلية التي من جملتها مرض

اتساع أوردة الرجل (دوالي الساقين)، وألف كتاباً في هذا الصدد بحث فيه مفصلاً عن الآثار الطبية للصلاة على عضلات الرجل[30].

ولابد هنا من التأكيد مرة أخرى على أن الصلاة أمر عبادي، وما كان كذلك لا يمكن توجيهه أو تبرير تشريعه بما يترتب عليه من فوائد طبية أو بدنية. لأن ما هو روحاني وعبادي غني أساساً عن مثل هذه التبريرات والتوجيهات.

١٣ ــ الشعور بالقدرة والعزّة
الدرس الرابع
تاريخ الصلاة
تشريع الصلاة في الإسلام
القبلة
معنى إقامة الصلاة
الدرس الخامس
الاهتمام بالصلاة
وجوه الأهمية
١ ــ اشتراك الشرائع السماوية في الصلاة
٢ ــ تجلي الدين كله في
الصلاة

١٣ ــ الشعور بالقدرة والعزّة

وبالرغم مما تثيره الصلاة في الإنسان من شعوراً بالتواضع والخضوع، لكنها لا تدع المصلي يحس بالذلة والحقارة في نفسه أبداً، فهي تربطه بالقدرة الأبدية الدائمة، مما يبعث في نفسه شعور بالقدرة والعزة. فكلما أحس المؤمن بالضجر والضيق[1] اتجه إلى الصلاة، فحل بها عقده مشاكله. يقول الإمام (ع) في مناجاة ربه:

"إلهي كفى بي فخراً أن أكون لك عبداً، وكفى بي عزاً أن تكون لي رباً".

فالصلاة وثيقة عبودية العبد وارتباطه بربه، والله سبحانه شاهد صدق على هذا الارتباط المبارك الذي يستحق كل فخر واعتزاز.

الدرس الرابع

تاريخ الصلاة

تعتبر الصلاة أقدم العبادات تاريخاً في جميع الأديان الماضية، ونحن فيما يلي نستعرض جملة من الشواهد على هذا الأمر:

١ ــ صلاة آدم (ع): روي عن صحف إدريس (ع) أن الله أوجب صلاة العصر والمغرب والعشاء على آدم (ع) في اليوم الأول من إقامته هو وحواء في الأرض، وكان مجموع ركعاتها يومئذ تبلغ ٥٠ركعة١[2].

٢ ــ صلاة شيث (ع): عندما وافى آدم (ع) الأجل غسله النبي شيث (ع)، وصلى عليه صلاتنا على الميت اليوم١[3].

٣ ــ صلاة إدريس (ع): في رواية عن الصادق (ع) يوصي فيها أحد أصحابه قال: "إذا دخلت الكوفة فائت مسجد السهلة، فصل فيه، واسأل الله حاجتك لدينك ودنياك، فإن مسجد السهلة بين إدريس النبي (ع) الذي كان يخيط فيه، ويصلي فيه"١[4].

٤ ــ صلاة نوح (ع): كانت لسفينة نوح (ع) شبابيك ونوافذ يدخل منها نور الشمس فيعرف بها وقت الصلاة١[5].

٥ ــ صلاة النبي صالح (ع): حين طلب قوم صالح منه أن يخرج لهم من الجبل ناقة حبلى تضع حملها لدى خروجها كآية على صدقه في دعواه النبوة قال: ذلك أمر عسير وعلى الله يسير. ثم ما لبث أن قام فصلى ركعتين، ثم أهوى إلى السجود، فتضرع، فلم يرفع رأسه من السجود حتى انشق الجبل بأمر الله، وعلا منه صوت أدهش الحضور، ثم خرجت منه ناقة بنفس الصفات التي طلبها قوم صالح (ع) منه١[6].

٦ ــ صلاة إبراهيم (ع): حين أسكن إبراهيم (ع) زوجه وابنه جوار الكعبة التي وضع حجر أساسها حديثاً، ابتهل إلى الله فقال: **(ربّ إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي إليهم)**١١١[7].

٧ ــ صلاة إسماعيل (ع): امتدح القرآن الكريم النبي إسماعيل (ع) لأنه كان يوصي أهله بالصلاة١[8].

٨ ــ صلاة اسحاق ويعقوب ولوط (ع): ذكر القرآن الكريم لمحات من تأريخ اسحاق ويعقوب ولوط ثم اعقب ذلك بقوله: **(وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا، وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين)**[9].

٩ ــ صلاة شعيب (ع): كان المشركون يردون على دعوة شعيب لهم بعبادة الله الواحد بالقول:

(أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا)[10].

١٠ ــ صلاة موسى (ع): عندما أتى موسى جبل الطور، وتلقى الرسالة وأمر بخلع نعليه، واحترام ذلك المكان المقدس قال الله تعالى مخاطباً إياه:

(إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري)[11].

١١ ــ صلاة لقمان (ع): أوصى لقمان الحكيم ابنه بوصايا منها أنه قال: **(يا بني أقم الصلاة...)**[12].

١٢ ــ صلاة داود (ع): كان داود (ع) قد قسم أيامه فجعل يوماً لأمور الناس والقضاء بينهم، ويوماً للعبادة يصلي فيه قائماً بعيداً عن أعين الناس[13].

١٣ ــ صلاة سليمان (ع): كان النبي سليمان (ع) يصلي الصبح في الشام، والظهر في بلاد فارس[14].

١٤ ــ صلاة يونس (ع): قيل في تفسير الآية الشريفة:

(فلولا أنه كان من المسبحين)[15].

معناها أنه لو لم يكن من المصلين للبث في بطن الحوت مدة أطول[16].

١٥ ــ صلاة زكريا (ع): جاء في الآية الشريفة في ذكر زكريا قوله: **(فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب إن الله يبشرك بيحيى)**[17].

١٦ ــ صلاة عيسى (ع): عندما تكلم عيسى (ع) وهو في المهد قال: **(إني عبد الله آتاني الكتاب وبعثني نبياً وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً)**[18].

١٧ ــ صلاة أيوب (ع): حين صلى أيوب أثنى الله سبحانه على ما يتحلى به من الشكر والطاعة. فنال الشيطان منه الحسد فقال: "رب! ألا سلبت منه أمواله ثم تنظر ماذا يفعل؟ فسلط الله الشيطان عليها، فاتلف ماشيته، ثم جاء أيوب بزي راع فرآه قائماً يصلي، فقال له بعد أن

فرغ من صلاته: "أما تعلم ما فعل ربك بإبلك؟ فقال: ليست الابل لي، كانت ملكه فأعارنيها، وله أن يسترجعها متى شاء..."[19].

١٨ ــ صلاة الخضر (ع): روى علي بن إبراهيم أن أباه زار في بعض أسفاره الخضر (ع) وهو في مسجد الكوفة يصلي هنا أو هناك[20].

١٩ ــ صلاة ذي الكفل (ع): "أمر ذو الكفل (ع) بدعوة قومه لجهاد الظالمين فقالوا: سل الله يعفينا هذا، فقام، فصلى ثم قال: رب... إن لقومي حاجة أنت أعلم مني بها..."[21].

وروي عن الصادق (ع) قوله في الصلاة:

"**هي آخر وصايا الأنبياء**"[22].

حيث تدل الرواية على أن الصلاة كانت مألوفة لجميع الأنبياء الذين يبلغ تعدادهم مئة وأربعة وعشرين ألف نبي، وكانوا (ع) يوصون بها.

تشريع الصلاة في الإسلام

اشتهر أن رسوله الله (ص) تلقى الحكم بوجوب الصلاة أثناء عروجه إلى السماء ليلة الإسراء والمعراج، ثم ابلغه المسلمين، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن الصفحات الأوائل من تقويم تاريخ الإسلام قد حملت في طياتها صوراً عن صلاة رسول الله (ص) والإمام علي (ع) وخديجة (ع) قرب الكعبة المكرمة على مرأى ومسمع من قريش. وهذا الأمر يثير سؤالاً هو: إذا كانت الصلاة شرعت ليلة الإسراء كيف كان المسلمون الأوائل يؤدون صلاتهم قرب الكعبة منذ الأيام الأولى للبعثة الشريفة؟ وكيف كانت صلاتهم؟

يقول العلامة الطباطبائي (ره): "وفي بعض الأخبار أنه (ص) صلى المغرب بالمسجد الحرام، ثم اسري به. ولا منافاة بين كونه صلى المغرب أو العشاء الآخرة والفجر بمكة، وبين كون الصلوات الخمس فرضت عليه في السماء ليلة الإسراء فإن فرض أصل الصلاة كان قبل ذلك. وأما أنها كم ركعة كانت فغير معلوم. غير أن الآثار [الآيات[23] والروايات[24]] تدل على أنه كان يقيم الصلاة منذ بعثه الله نبيا"[25].

لقد وردت أخبار وروايات مختلفة بشأن التغييرات التي طرأت على ركعات الصلاة منها: ما عن الإمام الباقر (ع) حيث قال:

"لما عرج برسول الله (ص) نزل بالصلاة عشر ركعات ركعتين ركعتين. فلما ولد الحسن والحسين (ع) زاد رسول الله (ص) سبع ركعات شكراً لله فأجاز الله له ذلك... فلما أمره الله بالتقصير في السفر وضع عن امته ست ركعات"[26].

وفي رواية أخرى سأل سعيد بن المسيب الإمام السجاد (ع) فقال متى فرضت الصلاة على المسلمين على ما هي اليوم عليه؟ فقال: **"بالمدينة حين ظهرت الدعوة، وقوي الإسلام، وكتب الله على المسلمين الجهاد، زاد رسول الله (ص) في الصلاة سبع ركعات: في الظهر ركعتين، وفي العصر ركعتين، وفي المغرب ركعة، وفي العشاء الآخرة ركعتين، واقرّ الفجر على ما فرضت بمكة"**[27].

وما نستنتجه من الأخبار المتقدمة الواردة في الصلاة، وما تقدم في تاريخ الصلاة: أن الصلاة كانت في جميع الشرائع والأديان، وكان رسول الله (ص) يؤدي ــ وهو على دين الحنيفية يومئذ ــ هذا النسك في إقاماته الطويلة في غار حراء قبل البعثة. كما كانت الصلاة بعد البعثة أولى عبادات المسلمين ومراسمهم الدينية، غير أنه قد جرى في ليلة المعراج، أو في السنين الأولى من تأسيس حكومة الرسول الأعظم (ص) في المدينة المنورة تغيير في محتوى الصلاة وعدد ركعاتها.

القبلة

لقد مضت ستة عشر شهراً على تشكيل الرسول (ص) الحكومة الإسلامية في المدينة، وكيان الرسول هذا يتعرض ــ إضافة إلى الحملات والهجومات العسكرية ــ إلى حرب نفسية وإعلامية، إذ كان يهود يثرب ينتقدون المسلمين دوماً بعدم الاستقلال في قبلتهم، وينالون منهم بسبب استقبالهم بيت المقدس أثناء العبادة. وكان قائد الأمة الإسلامية ينتظر بفارغ الصبر نزول رسول الوحي إليه بأمر تغيير قبلة المسلمين حتى نزلت في يوم الاثنين من منتصف رجب من العام الثاني للهجرة الآية الكريمة:

(قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره)[28].

وتحولت بهذا البلاغ الصادع الصريح قبلة المسلمين نصف دائرة كاملة حيث صارت إلى الجنوب بدلاً من الشمال. وقد أطلق على محل نزول هذه الآية "مسجد ذي القبلتين"، ومنذ ذلك الحين والمسلمون يؤدون صلاتهم بارتياح وفخر نحو الكعبة.

ولابد هنا من الاجابة على سؤال مهم هو: لماذا تجب الصلاة باتجاه مكان وموضع خاص؟ وهل لله الذي لا يحل بمكان مكاناً يخصه؟

والجواب بالنفي طبعاً فإن الله لا يختص بمكان معين، ولا يحل بمكان إذ يقول القرآن الكريم في ذلك.

(وأينما تولوا وجوهكم فثم وجه الله)[29].

وإنما البيت علامة على صاحب البيت فتوجه الأبدان إلى البيت والقلوب إلى صاحبه! وحيث ان الكعبة أقدس وأطهر الأمكنة على الأرض إذ تحمل آثار أنبياء الله العظام، وتمثل كتاباً في الخاطرات والحوادث التوحيدية، فقد صارت مقراً للتوحيد، وقبلة للموحدين. ونحن إذ نقبل على المركز المعنوي هذا البعيد عن كل مظاهر التجمل نبعد جميع مظاهر الزينة والتجمل من القلب، ونطلق القلب نحوه[30].

فعن الصادق (ع) قال: "**إذا استقبلت القبلة فانس الدنيا وما فيها، والخلق وما هم فيه، (واستفرغ قلبك من كل شاغل يشغلك عن الله) وعاين بسرك عظمة الله، واذكر وقوفك بين يديه (يوم تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق...)**"[31].

وإن في كل سجدة يسجدها القلب للحق، يسجد معه الجسم أيضاً في اتجاه وناحية. فما أحسن أن يكون لجميع الموحدين جهة وناحية معينة، فيقفون أمام بيت أقيم للعبادة، ويرتضون نظاماً واحداً، ويصطفون في هيئة منسجمة، ويتبع ذلك لا في العبادة وحدها، بل في عامة النشاطات والأفعال كما في ذبح الحيوانات والأكل والاضطجاع للنوع ولبس الثياب بمختلف صوره الالزامية والراجحة.

معنى إقامة الصلاة

تم التعرض أكثر من ١٠٢ مرة لذكر الصلاة واحكامها وآثارها في القرآن الكريم، لكن أغلب هذه الآيات كانت تتحدث عن إقامة الصلاة لا أدائها، فما هو الفرق بين الكلمتين؟

لابد لمعرفة الفرق بين مفهومي الكلمتين من الرجوع إلى الحديث الرائع للقائد المعظم حيث يقول:

"الظاهر أن المراد من إقامة الصلاة شيء وراء أدائها. فإقامة الصلاة ليس مجرد القيام بها فقط بل سير الإنسان نفسه، وتسييره الآخرين، وسوقهم نحو الوجهة التي تدعو إليها الصلاة، فكأن إقامة الصلاة هي أن يجعل الإنسان ــ بالسعي المبذول من قبله ــ جو حياته، وحياة غيره مشبعاً بعطر الصلاة أي يكون جواً ملؤه العبودية لله، والطلب منه، والتضرع إليه"[32].

ويذكر أحد أساتذة جامعة دمشق في كتاب ألفه للفت انتباه طلبة الجامعات إلى الصلاة ما يلي: "إقامة الصلاة أداؤها بخير وجه ممكن عبر:

١ ــ بذل الدقة الكافية في تحصيل الطهارة والطراوة، والنشاط وصحة الوضوء، ونظافة بدن المصلي وثيابه ومكانه، ونقاء نفسه من لوث الاخلاق الذميمة بالتوبة والندم، فإن الوضوء ونظافة الظاهر يجب أن يكون معهما نقاء وطهارة للباطن.

٢ ــ إعمال الدقة في أداء واجبات الصلاة ومستحباتها والأداء الصحيح لأذكارها باعتبارها بنية الصلاة وأركانها.

٣ ــ المحافظة على روح الصلاة التي هي عبارة عن الأخلاق، وحضور القلب الذي يحصل بالخشوع والتواضع، واستقرار البدن، وسكونه في الصلاة. قال الله تعالى:

(قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون)[33].

فإن الهدف من الصلاة ليس مجرد تحقيق الخضوع البدني، بل الخضوع القلبي أيضاً. فالله سبحانه لا يرضى أن يقول المصلي "الله أكبر" بلسانه، وفي قلبه شيء آخر أكبر منه، أو يقول "وجهت وجهي" وقلبه متوجه إلى غير الله، ومنشغل بالمشاغل الدنيوية، ومنافعها الزائلة"[34].

إن دراسة لموارد استعمال لفظ الصلاة في القرآن تظهر أن أداء الصلاة ليس لم يقع موقع الثناء والمدح فحسب، بل تعرض لفظ المصلين" عادة للذم بإزماء "المقيمين الصلاة". وإذا استعمل لفظ الصلاة دون لفظ "الإقامة" أعقبه تأكيد على المداومة والمحافظة على الصلاة[35].

الدرس الخامس

الاهتمام بالصلاة

بالرغم من الأهمية العظيمة التي أمتازت بها الصلاة من بين العبادات والأحكام الشرعية فإن اهتمام المسلمين بها وبأبعادها المختلفة قليل. فقد كان الأبالسة والشياطين دأبوا على مر التاريخ على محو هذه العبادة العظيمة وإزالة محتواها من المجتمعات الإسلامية، ولم يتوانوا عن أي عمل في هذا السبيل، فإنهم يرون بقاء سلطتهم رهين زوال هذه الفريضة والقضاء عليها فعن رسول الله (ص) أنه قال:

"لا يزال الشيطان يرعب من بني آدم ما حافظ على الصلوات الخمس، فإذا ضيعهن تجرأ عليه، وأوقعه في العظام"[36].

وفي رواية أخرى عن علي (ع) يشبه الصلاة بالحصن المنيع أمام وساوس الشيطان وإلقاءاته[37]. فإذا كانت الصلاة تقاوم سلطة الشياطين ونفوذهم، فلابد أنهم لا يألون جهداً في الحيلولة دون إقامتها.

وجوه الأهمية

من المعلوم لدينا أن أول خطوة عملية تخطى في مجال الشريعة بعد تحكيم الأسس العقائدية (أصول الدين) تكون نحو الصلاة[38]. فقد أثني على الصلاة بعناوين مثل: فيها مرضاة الرب[39]، ورأس الإسلام[40]، وحصن من سطوات الشيطان[41]، وآخر وصايا الأنبياء[42]، وأحب الأعمال إلى الله[43]، وقرة عين الرسول[44]، وعمود الدين[45] وما شابه ذلك. وأولياء الله سبحانه يقضون ليلهم ونهارهم بفارغ الصبر في انتظار الصلاة حيث وقت لقاء الله، ويتحينون وقتها كما يتحين الجائع الطعام، والعطشان الماء. يقول النبي الأكرم (ص) في بيان عطشه واشتياقه على الصلاة:

"إن الجائع إذا أكل الطعام شبع، والظمآن إذا شرب الماء روي، وأنا لا أشبع من الصلاة، ولا آكل قبل الصلاة"[46] ولم يكن يعرف أحداً عند الصلاة، وكان غريباً مع كل أحد إلا الله[47].

لماذا تقابل هذه العبادة بهذا الاحترام؟ ولم تولى كل هذه الأهمية؟ وبتعبير آخر ما الميزة التي يمكن أن توجد في الصلاة دون سائر العبادات؟ طبيعي أن الأسرار والآثار التي أشير إليها في القسم السابق يمكن أن تكون مبرراً لكل هذا التأكيد. وسنقوم في هذا الفصل بتقديم فهرس عن وجوه أهمية الصلاة من خلال دراسة الآيات والروايات الواردة في الباب.

١ ــ اشتراك الشرائع السماوية في الصلاة

وضعت الأديان السماوية ــ التي تتفق جميعاً في الدعوة إلى عبادة الله، واجتناب الطاغوت ــ واجبات متنوعة في جدول التكاليف بعهدة العباد، لكن القاسم المشترك بينها جميعاً هو إقامة الصلاة. إن هذه العبادة وكما مر في الفصل الذي تحدثنا فيه عن العمق التاريخي للصلاة كانت موجودة في ساحة كل واحد من الأديان الإلهية. ويعد هذا وحده خير دليل على أهمية الصلاة، كما أن الرسول الأكرم (ص) عبر عنها بأنها "نهج الأنبياء"[48].

٢ ــ تجلي الدين كله في الصلاة

يستخدم كل دين من الأديان وسيلة خاصة للإعلان عن وجوده، مثل النار والبوق والناقوس وغيرها. وتعدّ وسيلة الإعلان هذه نوع وسيلة للدعوة إلى الدين بشكل عام أيضاً. وفي الإسلام جعلت إحدى مقدمات الصلاة وسيلة للدعوة العامة إلى الإسلام، حيث تؤدي هذه المقدمة دور الدعوة إلى الإسلام بصورة الدعوة إلى الصلاة كما أن الرسول الأكرم (ص) قال في تفسير قوله تعالى: **(ومن أحسن قولاً ممن دعا على الله)**[49]:

إن المراد به المؤذن[50] فحضور الصلاة إذن حضور الدين كله، والدعوة لها دعوة إلى الله سبحانه.

٣ ــ لا عفو في الصلاة
٤ ــ دور الصلاة في تحقيق حاجات الإنسان
٥ ــ تخصيص بناء للصلاة
٦ ــ تكرر الطلب
٧ ــ أنواع مختلفة
٨ ــ تكفير تارك الصلاة
٩ ــ أول سؤال في القيامة
١٠ ــ الصلاة تعدل الإيمان
١١ ــ الصلاة باعث على إصلاح النفس
الدرس السادس
محراب العبادة
الأذان والاقامة
ثواب المؤذن
شروط المؤذن وكيفية الأذان
الوضوء
جفاء الله

تجديد الوضوء

٣ ــ لا عفو في الصلاة

يرتبط كل واحد من التكاليف الشرعية بصنف خاص من العباد، أو تعفى منه بعض الأصناف. فالصوم مثلاً واجب على غير المريض والمسافر و... والخمس والزكاة والحجّ تتعلق بمن لهم القدرة المالية. والنساء والشيوخ وأصناف أخرى غيرهما مستثنون من حكم الجهاد. لكن الصلاة فريضة دائمية وعامة واجبة حال الخوف وحال الأمن. وفي الليل والنهار، وفي جميع شهور السنة، على الحر والعبد، والرجل والمرأة، والغني والفقير، والسليم والمريض، والمقيم والمسافر و... بل إن القرآن الكريم يأمر بأداء الصلاة مشياً أو ركوباً إن كانت الظروف صعبة لا يسع المجال معها للتوقف[1] أو النزول.

هل خطر ببالكم إلى الآن لماذا يعرّف الطفل في أولى ساعات ولادته بنداء الصلاة، ويهمس بالأذان والإقامة في أذنه، ويصلى على جثمانه بعد الموت وقبل الدفن؟

لماذا تكون الصلاة هي الخطوة الأولى التي تخطى في ساحة التكليف؟ ولماذا يطلب أولياء الله في آخر لحظات عمرهم فرصة أداء ركعتين من الصلاة عادة؟

ألا تنبئ أجوبة هذه الأسئلة عن أهمية هذه الفريضة العظيمة التي يجب أن تستوعب العمر كله؟

٤ ــ دور الصلاة في تحقيق حاجات الإنسان

إن الاستمداد والاستعانة بغير القدرة الأزلية في الحياة أمر يتبرّأ منه الإنسان في كل يوم باعتباره أمراً مخالفاً للقيم، ويؤكد في الصلوات اليومية على القول: **(إياك نعبد وإياك نستعين)**.

وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى عملين كوسيلتين للاستعانة هما: الصبر والصلاة[1][2]. كما أوصى في الروايات بأداء صلوات مختلفة لحل مشكلات الحياة، وبلوغ الحاجات. فإنه وإن كان نظام العالم يقوم على أسباب وعلل مادية لكن حدوث هذه الأسباب وتأثيرها بيد الله سبحانه. ولابد من الاستعانة بقوة غيبية لايقاع الانسجام بين هذه الأسباب والعوامل، وهو ما يحصل بالصلاة.

وفي رواية:

"كان رسول الله (ص) إذا حزنه أمر فزع إلى الصلاة"[1][3].

وفي حديث آخر عن الرسول الأكرم (ص) ما معناه: من صلى ركعتين لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه[1][4].

فالصلاة تعد مؤثرة ومهمة أيضاً لكونها مما يمكن أن يلعب دوراً مؤثراً في تلبية وتحقيق حاجات الإنسان الحياتية.

٥ ــ تخصيص بناء للصلاة

---

١ [1]سورة البقرة، الآية: ٢٣٨ (فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً). لم يستثن من ذلك إلا النساء حيث أمر أن يجلسن أيام العادة في مصلاهن ويشتغلن بذكر الله وقت الصلاة بدلاً منها. (توضيح المسائل: المسألة ٤٧٦).

ومن الوجوه الأخرى التي تثبت أهمية الصلاة وعظمتها إقامة الأبنية الخاصة لأداء هذه الفريضة. فالمساجد وإن كانت تشكل مقراً وحصناً للدولة لكن الصلاة والعبادة أهم عمل يؤدي فيها وهو العنوان الذي بنيت من أجله[5]. فالقيام بتأسيس المساجد وبنائها وانتشار هذه الظاهرة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وعلى مرّ العصور والقرون للدفاع عن فريضة الإيمان والتي تكشف عن عمق إيمان المسلم[6] يحكي عن تكريم لهذا الواجب وتعظيم له من قبل الله سبحانه وتعالى.

٦ ــ تكرر الطلب

ينبئ إلفات النظر المتكرر إلى واجب معين، وطلب تنفيذه بصورة دائمة عن أهمية ذلك الواجب وعظمته. فإذا كلف أحد بملاقاة إحدى الشخصيات خمس مرات في اليوم فإنه لا ريب سيتبادر إلى الذهن السؤال عنه، وعن مدى الأهمية التي يحظى بها هذا الشخص، حتى يجب الذهاب إليه عدة مرات في اليوم. والصلاة عبادة يساق الناس إليها عدة مرات في اليوم. وقد خصصت ــ عدا اللقاءات الضرورية والإلزامية التي اعتبرت فرائض وواجبات ــ لقاءات حرة للعباد بالصلاة. وهي تنبئ جيداً عن أهمية هذا العمل.

إن هذه العبادة التي تبدو أمراً تكرارياً رتيباً بحسب الظاهر، وورد تشبيهها بسلم ترقي الإنسان وعروجه، يمثل كل جزء وركعة منها سلماً يعرج بالناس إلى المدارج السامية.

٧ ــ أنواع مختلفة

إن أصول وأركان هذه العبادة العظيمة وإن كانت متفقة وواحدة، لكن هناك اختلافات كثيرة تظهر لدى المقارنة فيما بين أشكال هذه العبادة المختلفة. فهناك اختلافات تشاهد بين الصلوات المختلفة من حيث الركعات والركوعات، ومن جهة القراءات والسور، وبلحاظ الأذكار والأدعية المستحبة، ومن ناحية ظروف الزمان ونية إقامة الصلاة وغيرها. فلكل بلاء، أو شدة أو رخاء صلاة، فمنها صلاة الاستسقاء، وصلاة الشكر، وصلاة الخوف، وصلاة الحاجة، وصلاة الزيارة، وصلاة العيدين، وصلاة الجمعة، وصلاة المريض، وصلاة المسافر، وصلاة الميت، وصلاة القضاء، وصلاة الطواف، وصلاة الاستخارة، وصلاة أول الشهر، وصلاة ليلة الدفن، وصلاة الجائع، وصلاة الوسواس، وصلاة الاستغاثة، وصلاة الأئمة المعصومين (ع)، وصلاة الوصية، وصلاة تقوية الذاكرة، وصلاة العفو، وصلاة كل يوم من أيام الأسبوع، وصلاة نافلة الليل وما شابه ذلك من الصلوات التي ليس بوسع الإنسان احصاء عددها أو الاحاطة بها. إن هذا التنوع يمكن أن يعتبر دليلاً آخر على أهمية هذه العبادة أيضاً.

٨ ــ تكفير تارك الصلاة

تقدمت الإشارة منا في هذا الكتاب إلى أن أولى قدم كانت توضع في صدر الإسلام في بداية الاعتناق للدين الحنيف تكون في ساحة الصلاة، إذ كان المعتنقون للإسلام حديثاً يدخلون دار الدين بعد الاقرار بالتوحيد من باب الصلاة. كما يستدل أيضاً استناداً إلى الروايات على أن الخطوة النهائية في حدود الدين تكون بترك الصلاة أيضاً. فعن الرسول الأكرم (ص) قال:

"**ما بين المسلم وبين أن يكفر إلا أن يترك الصلاة الفريضة متعمداً أو يتهاون بها فلا يصليها**"١١[7]. وفي حديث آخر عن الإمام الصادق (ع) يقول بصراحة:

"**لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة**"١١[8].

٩ ــ أول سؤال في القيامة

لقد أشير في المصادر الإسلامية إلى نحو من الأولوية في ترتيب النظر في ملف أعمال الناس وكتبهم يوم الحساب، فلا تعتبر الصلاة أول ما يحاسب المرء عليه ذلك اليوم فحسب، بل تعتبر سلامة ملف الصلاة شرطاً في النظر في سائر الأعمال أيضاً فعن الباقر (ع) أنه قال:

"**إن أول ما يحاسب به العبد الصلاة، فإن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها**"١١[9].

وفي حديث آخر عن رسول الله (ص) أنه قال:

"**أول ما ينظر في عمل العبد في يوم القيامة في صلاته، فإن قبلت نظر في غيرها، وإن لم تقبل لم ينظر في عمله بشيء**"١١[10].

وفي رواية أخرى عن علي (ع) قال: "**إن كل شيء تبع لصلاتك**"١١١[11].

١٠ ــ الصلاة تعدل الإيمان

لقد ظل المسلمون طيلة ستة عشر عاماً من بعثة الرسول (ص) يعبدون ويصلون نحو بيت المقدس. وبعد هذه المدة الطويلة نسبياً تحولت قبلة المسلمين ــ بفعل بعض المصالح الخاصة، وبهدف التخلص من انتقاص اليهود لهم على عدم وجود قبلة له ــ إلى الكعبة المشرفة. وإثر هذا التحول الحاصل في قبلة المسلمين واجه المسلمون شبهة حول صحة الصلوات التي أدوها نحو بيت المقدس، ووجوب الإعادة أو القضاء فيها؟ وفي هذا الشأن نزلت الآية الكريمة:

(وما كان الله ليضيع ايمانكم)١١[12].

فعبر في الآية المذكورة عن الصلوات الماضية بالإيمان مما يكشف عن أن الصلاة عند الله تعدل الإيمان.

١١ ــ الصلاة باعث على إصلاح النفس

ورد في روايات كثيرة أن المصلي إذا كان مبتلى بفساد أخلاقي، واستمر في أداء صلاته، فإن الآثار المعنوية للصلاة ستجعل منه فرداً صالحاً في المستقبل، إذ لا يجتمع الفساد الأخلاقي مع الصلاة في شخص واحد. ففي رواية في هذا الصدد: روي أن فتى من الأنصار كان يصلي الصلاة مع رسول الله (ص) ويرتكب الفواحش، فوصف ذلك لرسول الله (ص) فقال: ""**إن صلاته تنهاه يوما ما فلم يلبث أن تاب**"١١١[13] فالمجرمون والمذنبون والمذنبون من أصحاب النار هم ــ بتصريح القرآن ــ تاركو الصلاة إذ يقال لهم: **(ما سلككم في سقر قالوا لم نكُ من المصلين)**١١١[14]. وبسبب الصلاة تأكل الحسرة تاركها، وتورثه الندم، حيث يقول تارك الصلاة عند الموت: **(رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت)**١١١[15] أي لاصلي ما تركت من صلواتي لكن الجواب يكون بالنفي١[16].

الدرس السادس

محراب العبادة

الأذان والاقامة

الأذان نداء الصحوة، وصوت الرحمة، ونشيد العبودية، وولع المخلوق بالخالق، فقد كانت أنغام أذان بلال المنعشة تداعب قلب نبي الوالهين الأتقياء، وتبعث السكون والهدوء والحب والرحمة فيه إنه نشيد الحرية والإيمان الذي يثني على المطلق، ويدعو التائهين الحيارى إلى دار آمنة، وساحة عزه الأذان نداء التنزيه الذي يبدأ باسم الله ويختم به.. والأذان أول صوت يداعب اذن الوليد بعد ولادته.. وخير مؤنس للإنسان في الخلوات والفلوات والصحارى الموحشة١[17]، وأعظم منذر العالمين بأن الله أكبر من كل شغل، وفوق كل وصف، فهلموا إليه.. واقبلوا عليه، فهو الأكبر والأحق بالاهتمام.. هو باعث الأنبياء إلى الناس هداة لهم ومرشدين.. هو ذا يدعوكم إليه.. لتفلحوا.. ليثيبكم خير الثواب على خير عمل.. هو الأكبر القادر ــ دون الناس ــ على تلبية حاجة الإنسان الواله الحيران.

يقول الميرزا جواد الملكي التبريزي (ره): "إذا سمعت "الله أكبر" فوجه قلبه صوب عظمة الذات المقدسة وكبريائها، وصغر الدنيا وما فيها، كي لا تكون كاذباً في تكبيرك، وكلما سمعت (لا إله إلا الله) فامح كل معبود غيره من لوح القلب"١[18].

ثواب المؤذن

ما من شعار أقوى وأنفذ من الأذان.. ولا شعور أسد وأحكم من تبيين الموقف الفكري والسياسي من على المآذن والمنابر المتعارفة. فعن رسول الله (ص) أنه قال:

"يغفر للمؤذن مدّ صوته وبصره، ويصدقه كل رطب ويابس، وله من كل من يصلي بأذانه حسنة"١١[19].

وفي حديث آخر عنه أيضاً قال:

"لحم المؤذن ودمه على النار حرام، من أذن لوجه الله سبع سنين كتب الله له براءة من النار"١١[20].

ويعدّ في ثالث المؤذنين أطول الناس أعناقاً وأرفعهم رأساً يوم القيامة١[21].

وفي رواية أخرى عنه قال:

"أول من يدخل الجنة بعد الأنبياء والشهداء المؤذنون، ولا عمل خير من الأذان إلا الجهاد في سبيل الله"١١[22].

شروط المؤذن وكيفية الأذان

ينبغي أن تكون في المؤذن صفات وخصائص خاصة: فعن أمير المؤمنين علي (ع) قال: "**المؤذن أفصح الناس**"١١١[23]. وقد اختار الرسول الأكرم (ص) بنفسه مؤذنه، وكان يعيّن المؤذن لسائر المساجد المهمة كمسجد قِبَا، كأي منصب رسمي١[24]. وعادة ما أسند هذا المنصب لمن لديهم صوت جهوري جميل. ولقد تحدث في شأن المؤذن، وثواب الأذان، ودعا للمؤذنين حتى قال له أحد أصحابه: يا رسول الله إنهم يجتلدون على الأذان فقال: "**كلا إنه ليأتي على الناس زمان يطرحون الأذان على ضعفائهم**"١١١[25].

وكان مؤذن رسول الله (ص) بلال الحبشي، بالرغم من سواد بشرته، يتحلى بفضائل أخلاقية، وسوابق ثورية، ومشاركة في جبهات القتال في معارك بدر وأحد والأحزاب، وظل محافظاً على هذه السمة من أول أذان للرسول (ص) وحتى أواخر عمره الشريف.

وكان يصم أذنيه بيديه ليوصل صوته إلى جميع نواحي المدينة، ويدير وجهه مؤذنا إلى الجوانب المختلفة١[26] لكنه يكون في أغلب أحواله متجهاً نحو القبلة.

الوضوء

ينبغي لنا قبل التشرف بالمثول بين يدي المعبود أن نهيأ ونستعد لهذا اللقاء، فنغسل وجهنا وأيدينا بنحو خاص، ونستعد للقاء. فما هو السبب في أداء هذه المقدمة؟

لقد تضمنت الروايات الإسلامية الإشارة إلى بعض الموارد التي تعتبر من أسرار الوضوء وآثاره وهي:

١ ــ دليل الطاعة: عن الإمام الباقر (ع) قال ما معناه:

"الوضوء من حدود الله أوجبه ليعرف المطيع من العاصي"١١[27].

٢ ــ حسن الظاهر حين الملاقاة: في رواية عن الإمام (ع) يوجه فيها الكلام إلى أحد تلامذته فيقول:

"إنما أمر بالوضوء وبدئ به لأن يكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبار في مناجاته إياه، مطيعاً له فيما أمره"١١[28].

٣ ــ بعث النشاط وإزالة الخمول والكسل: وفي الرواية المتقدمة ذاتها يذكر الإمام (ع) سبباً آخر لتشريع وجوب الوضوء فيقول:

"مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرد النعاس".

٤ ــ ابيضاض الوجه يوم القيامة: سأل رجل رسول الله (ص): إذا كان يوم القيامة كيف تعرف أمتك من بين الناس؟ فقال رسول الله (ص) ما معناه: **"إن لأمتي وجوهاً مضيئة من أثر الوضوء ليست لأحد من الناس"**١١١[29].

٥ ــ طول العمر: قال رسول الله (ص):

"أكثر من الطهور يزد الله في عمرك"١١[30].

(وفي ذيل الرواية إشارة إلى أن المراد من الطهور الوضوء).

وهذا الوعد من الله سبحانه وتعالى له تبرير وتوجيه عملي وصحي أيضاً، فإن الأشخاص الذين يهتمون بالجوانب الصحية، لاسيما نظافة بشرة الجسم، يتمتعون بسلامة في الجسم، وطول في العمر.

٦ ــ إدراك أجر الشهداء: لقد أكدت الروايات كثيراً على أن يكون الإنسان على وضوء دائماً، فإن ذلك يعني أنه في سلسلة متصلة ودائمية من العبادة مع الله، مما يعني تهذيب الروح بصورة منتظمة وإزالة الغبار عن زوايا القلب، ففي رواية عن النبي الأكرم (ص) يؤكد على حفظ هذه الميزة في جميع الأحوال يقول:

"وإن استطعت أن تكون أبداً على وضوء فافعل، فإن ملك الموت إذا قبض روح العبد وهو على وضوء كتب له شهادة"١١[31].

جفاء الله

إن الله سبحانه الذي منح نفسه لقب مالك العالم يغتنم كل فرصة لدفع الإنسان نحو الكمال، وهو ــ بعكس الإنسان ــ في بحث دائم عن فرصة يجدد فيها علاقته بالإنسان، ويقلل فيها الفواصل بينه وبينه. فإن لحن الكلام والتعبيرات التي استعملها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أو في الأحاديث القدسية لدعوة الإنسان لا يمكن وصفها إلا من خلال كلمات الإمام السجاد (ع) حيث يناجي الله سبحانه وتعالى، فيقول: **"كأنك استحييتني"**١١١[32] ويعتبر الوضوء واحداً من الأعمال السهلة المريحة التي جعلها الله سبحانه وسيلة وسبباً لتجديد المحبة والمودة، ورفع حاجات الإنسان. إذ جاء في حديث قدسي في هذا الخصوص ما يلي:

"من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني، ومن توضأ ولم يصل ركعتين فقد جفاني، ومن أحدث وتوضأ وصلى ركعتين، ودعاني ولم أجبه فيما سألني من أمر دينه ودنياه فقد جفوته، ولست برب جاف"١١[33].

تجديد الوضوء

إن تجديد النشاط، وبعث الروح المعنوية في الإنسان أمر طبيعي مطلوب، وينسجم مع الفطرة البشرية. وقد أثنى الإسلام على تجديد الوضوء وامتدحه، وأولاه اهتماماً خاصاً، باعتباره يمثل عامل نشاط وحيوية للإنسان. قال الإمام الصادق (ع): **"من جدد وضوءه لغير حدث جدد الله توبته من غير استغفار"**١١١[34].

وفي رواية أخرى عنه أنه قال:

"الوضوء على الوضوء نور على نور"١١[35].

ولعل سرّ هذه التأكيدات حول المداومة على الوضوء وتجديده، هو أن أكثر نشاطات الإنسان مقيدة إلزاماً أو رجحاناً بالوضوء. فسوى الصلاة والطواف المقيدين إلزاماً

بالوضوء يمنع أيضاً مس نص القرآن الكريم، واسم الله سبحانه والنبي (ص) والأئمة المعصومين (ع)، وإن كانت مكتوبة بصورة الرمز والشعار. بينما يكون الوضوء مستحباً في صلاة الميت، وزيارة أهل القبور، ودخول المسجد ومراقد الأئمة (ع)، وحمل القرآن، وقراءته وكتابته، وعند النوم ومس حواشيه، وأداء الأعمال ذات الأهمية، ومباشرة الزوجة، والعودة من السفر، ودخول الدار، وتجديد الوضوء للصلاة، وبعد الرعاف والتقيؤ، وبعد الكلام البذيء، وعقب الكذب والغيبة، وعند تناول الطعام، وللنساء حين يجلسن في مصلاهن في أوقات الصلاة أيام العادة الشهرية، وغيرها.

قيمة العمل
النية
دور الإخلاص في النية
طريق تحصيل النية الخالصة
١ ــ اليقين بالمبدأ والمعاد
٢ ــ اليأس من الناس
٣ ــ تجنّب تنمية الاهواء واتباعها
٤ ــ استخدام العقل

الدرس السابع

قيمة العمل

النية

وهي أول ركن في كل عمل بل هي التي ترسم وتحدد هوية العمل. فعن الإمام السجاد (ع) أنه قال:

"**لا عمل إلا بنية**"[1].

وفي رواية عن الرسول الأكرم (ص) قال:

"**إنما الأعمال بالنيات**"[2].

وأما التعبيرات الأخرى الملاحظة في المصادر الإسلامية حول النية فعبارة عن:

"**لكل امرئ ما نوى**"[3].

"**يحشر الناس على نياتهم يوم القيامة**"[4].

"**لا دين لمن لا نية له**"[5].

"**ولتكن لك في كل شيء نية حتى في النوم والأكل**"[6].

بديهي أن المراد من النية في العبادة ليس ترديد ألفاظ معينة، بل هي أمر قلبي، وهوية عينية تخص العمل... إنها تحدد سلامة الدافع، وانحصاره في طاعة الله ورضاه... إنها تعني العمل عن وعي والشوق إلى المعبود.

---

١ [1]وسائل الشيعة، ج١، ص٣٣.

دور الإخلاص في النية

١ ــ الإخلاص عامل فوز: عبر عن الإخلاص في كلمات أمير المؤمنين بالفوز١[7]، وقال في حديث آخر له: "**في الإخلاص يكون الخلاص**"١١١[8].

٢ ــ الإخلاص هدف الأديان والشرائع: في حديث آخر لعلي (ع) قال: "**الإخلاص غاية الدين**"١١١[9]. أي هدفه.

٣ ــ الإخلاص ملاك التفاضل: جاء في رواية عن رسول الله (ص) قال: "**بالإخلاص تتفاضل مراتب المؤمنين**"١١١[10].

٤ ــ الإخلاص خير النعم: وفي رواية عن الصادق (ع) قال:

"**ما أنعم الله عز وجل على عبد أجلّ من ألا يكون في قلبه مع الله غيره**"١١[11].

وقال الله تعالى في الحديث القدسي:

"**الإخلاص سر من أسراري، استودعته قلب من أحببت من عبادي**"١١[12].

٥ ــ الإخلاص طريق كسب المودة: إن تحصيل المودة والمحبة الاجتماعية من آمال الإنسان المتأصلة في القدم، فكم هي المحاولات والمساعي والجهود التي تبذل من أجل إرضاء بعض العناصر في المجتمع وكسب مودتهم. لكن الله سبحانه وتعالى رسم طريقاً لكسب المودة إذ قال جل وعلا في القرآن الكريم:

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمان وداً)١١[13].

وقد فسر العمل الصالح في الروايات والتفاسير بأنه ما يكون مقصوداً لله سبحانه. ففي رواية عن رسول الله (ص) قال:

"**اعمل لوجه واحد يكفيك الوجوه كلها**"١١[14].

٦ ــ الإخلاص ملاك الشرف والكرامة الإنسانية:

يتوقع الله من الإنسان الذي سخر له كل شيء١[15] أن يثبت فضله على سائر الموجودات، وإلاّ كانت الكرامة والميزة التي خصّ بها الإنسان أمراً لا طائل من ورائه. ففي رواية عن الصادق (ع) قال": "**ولابد للعبد من خالص النيّة في كل حركة وسكون، لأنه إذا لم يكن هذا المعنى يكون غافلاً، والغافلون وصفهم الله تعالى، فقال: (إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضل سبيلا)** وقال: **(وأولئك هم الغافلون)**".

فالنية هي الملاك لا تصاف الإنسان بالإنسانية، وافتراقه عن الحيوانية.

٧ ــ الإخلاص خير وسيلة للإحسان:

يمكن للإنسان أن يستثمر كل الإمكانيات المالية والمادية التي وهبها الله إياه، واستغلال العمر والحياة والفرص المتاحة له، واستفراغ جهوده وقدراته العملية لأداء الطاعات وإتيان العبادات، لكن كلّ هذه الأمور تعترضها جملة من القيود، ويحدّها عدد من الحدود، بحيث لا تدع الإنسان حراً لينتفع منها بنحو مطلق وبلا حدود، فالإنسان يملك مقداراً من المال، وليس بمقدوره إلاّ أن ينفق بعضاً منه في إعانة الناس، وله عمر لا يتجاوز بضع سنين، ولا يمكنه إلاّ أن يخصص قدراً منه للعبادة والطاعة. فالنية وسيلة الإحسان الوحيدة التي تتيح للإنسان استثمارها أبداً بلا حدود ولا قيود.

فعن الإمام الصادق (ع) قال: "**إن العبد المؤمن الفقير ليقول: يا ربّ ارزقني حتى أفعل كذا وكذا من البر ووجوه الخير، فإذا علم الله عزّ وجل ذلك منه بصدق نية كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله إن الله واسع كريم**".

وفي رواية أخرى قال: "**من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشراً، ويضاعف الله لمن يشاء إلى سبعمائة**" وفي الحديث المروي عن رسول الله (ص) أنه قال:

"**أكثر شهداء أُمتي أصحاب الفرش، وربّ قتيل بين الصفين الله أعلم بنيّته**"١١[16]

٨ ــ الإخلاص قوام الدين:

إن أفعال البشر وانفعالاتهم لا يكون لها معنى إلاّ في ضوء النية، فبالنية يصبح لفعل الإنسان قيمة ومعنى، وعلى أساس نيته يجازى العامل. فسكين الجراح والشرير واحدة بحسب الظاهر، ومن حيث العمل، لكن النية تجعل الموقف المتخذ من أحدهما غير الموقف المتخذ من الآخر. وكما تؤثر النية في قيمة أفعال الإنسان، كذلك الدين، والتأثير الروحي والعقائدي له يقوم على أساس النية أيضاً فعن أمير المؤمنين (ع): "**لا يقوم الدين إلاّ بالنية الصادقة، كما لا يقوم الجسم بغير الحياة**".

فأيما عمل يقوم به الإنسان ــ خاصة العمل العبادي ــ لا يشترط فيه نيّة وجه الله وقصد الخير فحسب، بل يجب أن تكون النية خالصة أيضاً.

فالعامل إذا أراد بعمله مع الله شيئاً غيره فقد أحبط عمله مهما بلغ ما قصده من الضآلة، وأبى الله أن يتقبله منه. ففي الحديث القدسي قال الله سبحانه وتعالى (**أنا خير شريك ومن أشرك معي غيري في عمل عمله، لم أقبله إلاّ ما كان لي خالصاً**)١١١[17].

وقد تقدمت الإشارة إلى أن النية أمر قلبي، لا يكفي فيها ترديد ألفاظها باللسان، وأن قصد القربة لا يتحقق باللفظ، بل يجب أن يكون التقرب إلى الله ــ قلباً وعملاً ــ هو العامل المحرّك نحو العمل، وأن يكون أداؤه بنحو يحقق القرب من الله سبحانه.

طريق تحصيل النية الخالصة:

هناك تحذيرات وتأكيدات كثيرة جداً وردت في الروايات تدعو الإنسان إلى الإخلاص في النية في الوقت الذي يشبه نفوذ الشرك الخفي، وإشراك غير الله في العمل العبادي في الروايات بحركة النملة في قلب الليل على الحجر الأسود. فبلوغ مقام الإخلاص والتخلص من الشرك الخفي أمر غير يسير ولا سهل، ويفتقر إلى الدقة والتأمل اللازمين. ونحن سنسعى فيما يأتي للتعرف على طرق إدراك قيمة هذا المقام من خلال المطالعة والتفحص في مصادر المعرفة.

١ ــ اليقين بالمبدأ والمعاد:

جميعنا يؤمن بالله ويوم القيامة، لكن اعتقادنا هذا لم يبلغ حدّ اليقين. فقد آمنا أنا لله وأن الأوب إليه حق. ونعلم أيضاً أن الله عادل، وهو القاضي في ملف أعمال جميع العباد يوم القيامة، كما نعلم أن جميع إمكانياتنا الدنيوية هي منذ بدء الخليقة وإلى يومنا الحاضر رهينة فيض مبدئ الوجود، وأن الله ربنا رحمن رحيم، وأن كل القوى غيره إنما تمثل انعكاساً ضعيفاً جداً لقدرته وقوته، وأنها خاضعة لإرادته ومشيّته. ونعلم أن أنفاسنا تقودنا نحو بوابة الموت، لكنا لا نعتقد بهذه الأمور عن علم ويقين. فلذا نعقد آمالنا على غير الله، ونعتمد عليه ونشركه في عملنا. وهذه الحقيقة قد أشير إليها في كلمات ائمة الدين. فعن أمير المؤمنين (ع) قال: "**سبب الإخلاص اليقين**".

وفي حديث آخر قال:

"**على قدر قوة الدين يكون خلوص النية**"١١[18].

فلكي نفهم وندرك الإخلاص لابد أن نزيد في معرفتنا واعتقادنا العملي بالله ويوم الجزاء، ونسعى قبل طلب الإخلاص إلى الاقتراب من مقام اليقين.

٢ ــ اليأس من الناس:

بالرغم من أن المجتمع وعموم الناس يشكلان في الرؤية الإسلامية المحرم الأساس في استقرار النظام العلّي والمعلولي للخلقة إلاّ أنه لا يمكن اعتبارها ركيزة مناسبة لروح البشر. إذ أن منزلة الإنسان في نظام الخلقة ليس الموجه الحقيقي للتعلق والارتباط الروحي

بين أفراد المجتمع، فإن الإنسان وإن كان خليفة الله في الأرض، وخلق الله الكائنات لأجله، ورغم أن روح الانزواء والانعزالية فاشلة ولا قيمة لها، لكن الإنسان من العجز بمكانٍ ما جعل القرآن الكريم يصفه. بقول:

(لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه)[19].

فمع أن كل ما لدى الإنسان هو هبة لله سبحانه وتعالى له. وأن جميع ما ينفقه في سبيله سيعيده مضاعفاً من عشرة إلى سبعمائة ضعف إليه غير أنه كما قال تعالى.

(إذا مسّه الخير منوعاً)[20].

فلو أن الله أعرض عن الناس، وأرادوا أنفسهم تقديم العون لغيرهم لما احتملوا أن يقوموا أنفسهم باعداد قطرة ماء ثم يهبوها لغيرهم أو ينتفع بها. فعلى الإنسان أن يقطع أمله عن جميع العاجزين البخلاء هذا، ليكون يأس هذا خطوة أولى نحو الارتباط الوثيق بالله سبحانه، وإخلاص العمل له، فعن المعصوم (ع) قال: "**أوّل الإخلاص اليأس مما في أيدي الناس**"[21].

٣ ــ تجنّب تنمية الاهواء واتباعها:

إن ما يدفع الإنسان إلى التملق والتزلف والسكع على أبواب الخلائق ليس إلاّ الآمال والأهواء، والشهوات، وحب الدنيا، والتعلق بزخارفها، فلو حدّ الأمل، وقمع الهوى، وذلل حبّ الدنيا لما تعلق الإنسان بالغير. إذ كيف ستسمح له حريته أن يعلق آماله على غير الله، ويشوب عبادته ــ وهي أفضل الأعمال الإنسانية ــ بإشراك من ليس بخليق بهذا الأمر.

يقول الغزالي في بيان حقيقة الإخلاص:

"فالذي يغلب على نفسه حبُّ الدنيا، والعلو والرئاسة وبالجملة حبُّ غير الله اكتسبت جميع حركاته الاعتادية تلك الصفة فلم تسلم له عباداته. فلابد من قطع الطمع من الدنيا، والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فإذ ذاك يتيسر الإخلاص"[22].

٤ ــ استخدام العقل:

إن العاقل الملتفت إلى ضعف الناس، ودرجة تأثيرهم في مساعدة أفراد المجتمع إذا قارن بين ذلك وبين القدرة والمحبة والكرامة الإلهية، لن يكون مستعداً أبداً لأن يبيع عمله الآخرين، فإنهم إما يأبون شراءه، أو يشترونه بثمن بخس، أو يرضونه مع المنّة وآلاف القيود والشروط الأخرى، فعن الإمام الباقر (ع) أنه قال: "**ما بين الحق والباطل إلاّ قلة العقل. قيل: وكيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: إن العبد يعمل العمل الذي هو لله رضىً،**

فيريد به غير الله، فلو أنه أخلص لله لجاءه الذي يريد في أسرع من ذلك"١١١[23] وعبّر في رواية أخرى عن أداء العمل من أجل الغير بخسران الدنيا والآخرة، والشقاء العظيم حيث يكون العامل لغير الله قد انفق من الدنيا ولم يحصل على شيء من الأجر في الآخرة١[24].

الدرس الثامن
في حوار مع المعبود
الله أكبر
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
الرحمن الرحيم
مالك يوم الدين
إياك نعبد وإياك نستعين
اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ولا الضالين
سورة التوحيد

الدرس الثامن

في حوار مع المعبود

في حوار مع المعبود:

الله أكبر:

هو أوّل حديث أمام الواحد الأحد، حيث يتضمن تشخيصاً لمنزلته ومكانته بالقياس إلى سائر الموجودات والأوصاف التي قد يتصورها الإنسان، هو أكبر من كل شيء، وفوق كل وصف فإذا نحن واقفون أمامه لابد أن نحذر من الانشغال بكل ما دونه.

"الله أكبر" شعار يتضمن الإجابة على أسئلة كثيرة تدور حول محور العبادة والعبودية، نظير:

لماذا نعبد الله؟ نعبده لأنّ الله أكبر.

ــ لماذا نناجيه؟ نناجيه لأنه...

ــ لماذا تبطل كل صلاة لغيره؟ لأنه...

ــ لماذا لا يكون غيره جديراً بالاهتمام والعبادة؟ لأنه...

ــ لماذا لا ينبغي أن يكون لدينا خوف أو هلع من أي تهديد يمكن أن نتعرض إليه؟ لأن الله اكبر.

يجب على المصلي أن يشهد ــ إضافة إلى اللسان ــ عملاً وروحاً بعظمة الله وكبره، وأن ينظر إلى كلّ ما عداه بعين الصغارة والاحتقار. وإلاّ خوطب من قبله تعالى ــ كما عن الصادق (ع) بقوله ما معناه "**يا كاذب تخدعني؟! وعزّتي وجلالي سأحرمك حلاوة مناجاتي**"١١١[1].

إن هذا الشعار القصير والأساس يتكرر أكثر من ٥٠ مرّة في مقدمات الصلاة اليومية، و(٨٥) مرة في داخل الصلاة بصورة واجبة ومستحبة وذلك لتمثل عظمة الخالق في قلب المصلي، ويبدو غيره حقيراً في عينه، ولا يبالي بكل ما عداه، فيصبح مصداقاً للحديث المروي عن علي (ع) حيث قال:

"**عظُم الخالق في أنفسهم، فصغُر ما دونه في أعينهم**"١١[2].

بسم الله الرحمن الرحيم:

وإذ هو أكبر من كل شيء، فلنبتدء باسمه وذكره. هو صاحب الرحمة العامة بالمؤمنين وغيرهم في الدنيا، والدائمة بالمؤمنين في الدنيا والآخرة.

يقول الطبرسي (رحمه الله) صاحب تفسير مجمع البيان:

"اتفق أصحابنا أنها آية من سورة الحمد ومن كل سورة. وأنّ من تركها في الصلاة بطلت صلاته سواء كانت الصلاة فرضاً أو نفلاً"١[3]. وفي حديث عن الإمام الرضا (ع) قال: "**بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى أسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها**"١١١[4] فيمكن أن تصبح وسيلة لحل المشاكل، وسبباً للبركة والتقدس في الأعمال.

وعن ابن مسعود قال: "من أراد ان ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فإنها تسعة عشر حرفاً ليجعل الله كلّ حرف منها جنة من واحد منهم"١[5].

وروي عن الإمام العسكري (ع) حول معنى "بسم الله" أنه "**أي أستعين على أموري كلّها بالله:**١١١[6].

إن مجيء صفتي الرحمانية والرحيمية في البسملة يوضح مدى أهمية هذه الصفة من بين الصفات الإلهية، فهي تعلّم الإنسان أن مقام الرحمة والمحبة يجب أن ينظر إليه كأسمى مقام، وأعظم صفة يمكن أن يتحلّى بها الفرد رغم القدرة والقوة.

---

١ [1]المحجة البيضاء ج١، ص٣٨٥.

الحمد لله رب العالمين:

كل حمد وثناء وشكر وعبادة تخص الله رب العالمين، فإن الثناء والشكر يكون قبالة الجمال والكمال، وكل كمال وخير فهو منه. وهو المدير والمدبر لحركة الموجودات التكاملية[٧]. فهو يستحق الحمد في البدء بالرحمة، والاستمرار بالتربية.

ففي الرؤية التوحيدية، لا وجود للرب أو رب النوع في كل عوالم الوجود[8] إلا الله الواحد، رب العالمين وحده لا شريك له.

الرحمن الرحيم:

قد ذكرت رحمة الله الأبدية مرّة أخرى للتأكيد على أن الركيزة الأصلية للتربية في الثقافة الإلهية هي الرحمة والمحبة. ويعتقد البعض بأن صفة الرحمن الرحيم في بسم الله تشير إلى سرّ العبودية، وابتداء العمل باسمه، ومجيئها في أوّل سورة الحمد يوضح علة لزوم انحصار الحمد والشكر.

مالك يوم الدين:

يوم الدين أحد أسماء القيامة، وفيه يحين موعد الحساب وتدقيق الأعمال والله سبحانه هو المالك لزمام جميع الأمور فيه. فليس نشوء الخلقة وتربيتها بعهدته فقط بل إن نهايتها تكون على يديه القديرتين أيضاً.

وهو في الدنيا مالك لجميع ما فيها أيضاً، غير أن هناك ملكيات اعتبارية وادعائية أخرى فيها في طول ملكيته وفي الآخرة يفرُّ جميع المالكين من مملوكيهم ومملوكاتهم فلا نسبة بين الأفراد، أو بين الأشياء ولا ملك أو مملكة غير ملك الله ومملكته.

إياك نعبد وإياك نستعين:

بعد أن عرفنا المبدء والمربي والمدبر للكون سوف نجد الطريق سالكاً للدخول إلى حضرة الحق، فنكلّمه بصيغة الجمع المساوق للاحترام والخضوع قائلين **(إياك نعبد وإياك نستعين)** أي نعبدك وحدك ونستعين بك دون سواك، فإنّك منبع كل الكمالات، وبحر الرحمة، ونحن الفقراء المحتاجون إليك دائماً، ونتعلّم من هذا البيان السامي:

١ ــ إنّ تناغم جميع الموحدين في نشيد العبادة والاستعانة يوحي ويبعث روح الجماعة والتزام الوحدة.

٢ ــ إن الاستعانة بالله عقيب ادعاء العبادة الخالصة له يعلمنا أننا غير مستغنين عن عون الذات الربوبية حتى في أداء العبادات.

٣ ــ ان العبادة الخالصة تشكل أرضية لكسب الفيوضات الإلهية.

٤ ــ لما كانت القدرة تنحصر بالله سبحانه وتعالى في الماضي والحاضر والمستقبل فإن الاستعانة بما سواه أمر عبث وباطل.

٥ ــ يجب ان تكون الاستعانة بالمبدء الذي حقه العبادة.

٦ ــ إن الثناء والإقرار بكمالات المعبود، والشعور بالحضور في حضرته يشكل واحداً من آداب المناجاة.

اهدنا الصراط المستقيم:

"إن أهم وجوه الحاجة بعد الإقرار بالعجز والفقر، والاستعانة بحضرة المعبود طلب الهداية منه سبحانه، إذ يمثل هذا الطلب الأول للإنسان منه تعالى حيث يقول: **(اهدنا الصراط المستقيم)** فإن بين النوازع المختلفة المغروزة في الإنسان نازع الميل إلى زخارف الدنيا، والانخداع بمظاهر أهلها الخلابة مما يجعل الهداية بغير لطف الله أمراً متعذراً:

(ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)١١[9].

ونتعلم من هذا البيان:

١ ــ إن الانحراف عن الصراط المستقيم يمثّل تهديداً جدّياً ودائمياً للموحدين، ويستحق الاهتمام والتوسل المستمر بمبدء القدرة.

٢ ــ إن الاحتياجات الثقافية أول احتياجات الفرد والمجتمع وأكثرها ضرورية.

٣ ــ إن سبيل الهداية سبيل مستقيم وواضح ومنحصر، وهو ليس كسائر السبل والطرق المنحرفة لا ينطوي على انحراف أو اعوجاج.

٤ ــ إن للدعاء دوراً مؤثراً في الاستقامة الفكرية والعلمية للإنسان.

٥ ــ إن للهداية مراتب ودرجات فبعد الإيمان بالله وعبادته ينبغي أن تطلب الهداية بمرتبتها الكاملة فالله سبحانه وتعالى يقول:

(والذين اهتدوا زادهم هدى)١١[10].

وقد ذكرت للصراط المستقيم في الروايات والمصادر الإسلامية تفاسير مختلفة. فعن الرسول الأكرم(ص) أنه قال: "**الصراط المستقيم طريق الأنبياء**"١١١[11].

وعن علي(ع) قال ما معناه:

"**الصراط المستقيم طريق الهداية القرآنية**"١١[12].

وفي رواية عن الإمام الصادق(ع) أنه عدّ الصراط المستقيم طريق المعرفة الإلهية١[13].

وفي أخرى قال ما معناه:

"**الصراط المستقيم في الدنيا طريق الإمامة وطاعة الإمام، وقائد المجتمع الإسلامي، من عرفه في الدنيا واقتدى به جاز في الآخرة على الصراط فوق جهنم (فيبلغ الجنة)، ومن لم يعرفه في الآخرة تزلّ قدمه على الصراط فيسقط في جهنم**"١١[14].

وعن الإمام العسكري(ع) قال:

"**فأما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو، وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل**". وفي حديث عن الإمام الصادق(ع) قال:

"**اهدنا إلى الصراط المستقيم... ارشدنا للزوم الطريق المؤدّي إلى محبتك، والمبلغ إلى دينك، والمانع من أن نتّبع أهواءنا، فنعطب، أو نأخذ بآرائنا فنهلك**"١١[15].

ويعد الله في القرآن الكريم الصراط المستقيم طريق الله، وطريق النبي، وطريق العبودية فيقول:

(إن ربي على صراط مستقيم)١١[16].

(انّك على صراط مستقيم)١١[17].

(وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم)١١[18].

وقال الإمام الرضا (ع) أيضاً ما معناه: "**أن من عرف المتشابهات من المحكمات فقد هدي إلى الصراط المستقيم**"١١١[19].

صراط الذين أنعمت عليهم:

يتم في هذا المقطع عكس سمات أخرى حول الصراط المستقيم. فالصراط المستقيم هو ذلك الطريق الذي اختاره المنعم عليهم بنعمة الله. فمن هم أولئك يا ترى؟

للإجابة على هذا السؤال نستعين بآيات أخرى وإرادة في هذا الصدد اعتماداً على قول علي (ع): "**القرآن يفسر بعضه بعضاً**".

فقد حدد الفائزون بنعمة الله الخاصة في آية أُخرى حيث يقول الله سبحانه وتعالى:

(من يطع الرسول فأُولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً)[20].

فاستناداً إلى الآية الكريمة المتقدمة يكون الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون هم الذين أنعم الله عليهم نعمته الخاصة. ونحن نطلب في الصلاة ما لا يقل عن عشر مرّات يومياً أن يجعلنا الله معهم، ويسلك بنا سبيلهم. وهذه الآية تعلمنا أن:

١ ــ الهداية الفكرية من أعظم النعم الإلهية التي تصيب أفراداً معينين.

٢ ــ طلب الهداية أوّل قدم في طريق الهداية وصلاح البشرية. وقد بُيّن في الروايات المصداق الواضح لهذه الفئة التي أنعم الله عليها حيث قال الإمام الصادق (ع).

"صراط الذين أنعمت عليهم محمد وذريته"[21].

غير المغضوب عليهم ولا الضالين:

أشير في آيات كثيرة إلى فئات وجماعات من الضالين وأفراد تعرضوا لغضب الله سبحانه. كما أُشير إلى مصاديق عدة لهذه الأصناف في الروايات.

ففي رواية عن الإمام الصادق (ع) يذكر أن اليهود مصداق للمغضوب عليهم، وأن النصارى مصداق للضالين[22].

وقد أشير في القرآن الكريم إلى المصاديق التالية عادّاً إياهم من المغضوب عليهم:

١ ــ الطغاة: قال تعالى:

(ولا تطغوا فيحل عليكم غضبي)[23].

٢ ــ بنو إسرائيل:

(حيث غضب عليهم بسبب عنادهم وإصرارهم على الباطل بالرغم من وضوح الحق، وقتلهم الأنبياء، وتحريفهم الكتاب السماوي وأكلهم الربا) إذ قال الله سبحانه وتعالى: **(فباءوا بغضب من الله)**[24].

٣ ــ القتلة: قال تعالى:

(ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنّم خالداً فيها وغضب الله عليه)[25].

٤ ــ عبدة العجل: قال تعالى:

(إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم)[26].

٥ ــ **سيّئو الظن بالله:** قال تعالى:

(الظانين بالله ظنّ السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم)[1][27].

وللضالين مصاديق أخرى أيضاً أشارت إلى بعضها الآيات القرآنية:

المشركون[1][28]، المكذبون[1][29]، المعجبون بأنفسهم والمغرورون[1][30]، المخالفون لأوامر الأنبياء[1][31]، الذين يعترضون سبيل الخير، ويصدون عن المعروف[1][32]، المشبهون الذين شبّهوا الله بخلقه[1][33].

سورة التوحيد:

بعد قراءة فاتحة الكتاب التي بها افتتح الكتاب السماوي، وعرفت بسورة الحمد تصل التوبة إلى قراءة سورة التوحيد أو الإخلاص[1][34]. قال رسول الله (ص): **"من قرأ هذه السورة فكأنما قرأ ثلث القرآن، وكتب له من الحسنات عشرة أضعاف عدد جميع من آمنوا بالله وملائكته والكتب السماوية. من قرأها مرّة نالته بركات الله، ومن قرأها مرتين شملته وشملت عائلته، ومن قرأها ثلاثاً شملت وشملت عائلته وجيرانه"**. وروي عن الإمام الصادق أنه قال:

"أن رسول الله (ص) صلى على سعد بن معاذ. فلما صلى عليه قال (ص): لقد وافى من الملائكة سبعون ألف ملك وفيهم جبرائيل (ع) يصلون عليه فقلت: يا جبرائيل بمَ استحق صلاتكم عليه قال: بقراءة قل هو الله أحد قاعداً وقائماً وراكباً وماشياً وذاهباً وجائياً"[1][1][35].

تعلمنا هذا السورة.

١ ــ أن تكرار شعار التوحيد ضروري للموحدين، بل ولأصحاب لواء التوحيد.

٢ ــ أن الله يلبي حاجة كل محتاج، ولا تربطه مع أحد علقة نسب.

٣ ــ أن الله ليس بمادة ولا مادي.

قد ذُكرت للفظ الصمد الوارد في السورة معاني كثيرة نشير فيما لي إلى بعض منها[1][36]:

١ ــ مقصد العباد وملجأ المحتاجين.

٢ ــ الدائم بعد فناء الخلق، والباقي بعد حلول العدم.

٣ ــ من هو في غاية السيادة والصلابة والقدرة.

٤ ــ الموجود الذي لا حجم له ولا حافة ولا وسط.

٥ ــ الوجود القائم بنفسه الغني عن الغير.

٦ ــ الوجود الذي لا يتعرض للكون والفساد والتغيّر.

٧ ــ القدرة الواهبة الوجود للأشياء بمجرد الإرادة.

٨ ــ وفُسّر لفظ الصمد بما في الجملة التالية له أي الذي لم يلد ولم يولد.

٩ ــ خالق كلّ شيء.

١٠ ــ من ليس بجسم، ولا حدّ ومحلاً ومكاناً وشبيهاً وسكوناً وحركة له، لا يسعه شيء، ولا يخلو منه شيء.

إن وحدة الله سبحانه وتعالى ليست وحدة عددية فهو بتعبير آخر واحد لا نظير له، لا أنه واحد ولا ثاني له. إذ الثاني في الوحدة العددية قابل للتصور، لكنه ليس موجوداً. وأمّا بالنسبة إلى الله فأنه لا يمكن تصور فرد آخر له.

الدرس التاسع
أجزاء الصلاة
الركوع
السجود
سجدة الشكر
القنوت والتشهد

الدرس التاسع

أجزاء الصلاة

الركوع:

بعد استعراض سلسلة من المعارف، وطلب أهم الحاجات والمقاصد من الحضرة الأبدية، نتجه عملاً نحو الخضوع، ونؤدي حالة الركوع التي تعبّر ــ على حدّ تعبير الإمام الصادق (ع) ــ عن أدب العبد الخاص إزاء الربّ فنحمده، وننزهه عن كل شيء، حتى عن حاجته إلى صلاتنا وخضوعنا، فنحن نؤدّي هذا الأدب لاستحقاق الربّ له.

فأولياء الله يشعرون بلذة من ذكر الله في حال الركوع والسجود ما لا يمكن لهم ترك تلك الحال بسرعة. يقول أبان بن تغلب: "**دخلت على أبي عبد الله (ع) وهو يصلي فعددت في الركوع ستين تسبيحه**"١١١[1].

إن الركوع ركن من أركان الصلاة تؤدي الزيادة والنقصان فيه ــ بأي نحو من الأنحاء حصلا ــ إلى بطلان الصلاة١[٢]، كما أن عدم مراعاة الطمأنينة وعدم إتمام الركوع يؤدّي إلى الخروج عن دين رسول الله (ص)١[3].

السجود:

إن أوضح درجات العبودية، واقرب حالات العبد إلى الله سبحانه حالة السجود. وجميع ذرّات الوجود وفقاً لنص القرآن الكريم تسجد لله بنحوٍ ما١[4]. ولما كانت هذه الحالة تتسم بالتذلل والخضوع، فإن أهل الباطل يسجدون أمام أصنامهم وآلهتهم، وبحضرة ملوكهم ومدعي الألوهية أيضاً، احتراماً لهم. إن السجود عمل يتكرر فيه تقديس الله وتنزيهه مرّة

---

١ [1]وسائل الشيعة، ج٤، ص٩٢٧.

أخرى وأرضية مناسبة لكل نجوى وحوار مع الله سبحانه. وقد رويت روايات كثيرة في أهمية السجود وفضيلته واستحباب إطالته نعدّد فيما يلي بعضها:

١ ــ **طريق بلوغ الجنّة:** دخل رجل على رسول الله (ص) فقال له الرسول (ص): "**ما تريد؟ فقال: الجنة. فلبث رسول الله (ص) هنيهة ثم قال: يا عبد الله أعنّا بطول السجود**"١[5]١.

٢ ــ **اقرب ما يكون العبد إلى الله:** عن الإمام الصادق (ع) قال: "**أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد**"١١١[6].

٣ ــ **غفران الذنوب:** قال رسول الله (ص):

"**من سجد سجدة حط بها خطيئته، ورفع له بها درجة**".

٤ ــ **سنة أولياء الله:** قال الصادق (ع) مخاطباً أحد أصحابه:

"**يا أبا محمد! عليك بطول السجود، فإن ذلك من سنن الأوّلين**"١١[7].

وفي القرآن الكريم قال تعالى بعد ذكره اسم جمع من الأنبياء مثل زكريا ويحيى وعيسى وموسى وإبراهيم وإسماعيل وإدريس ونوح وغيرهم:

(وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجداً وبكياً)١١[8].

٥ ــ **أقوى العوامل تأثيراً في طهارة القلب:** يقول الميرزا جواد الملكي التبريزي (رحمه الله): "أن أكبر العوامل تأثيراً في إصلاح القلب هو المداومة على السجود الطويل. فإذا فعل ذلك في اليوم والليلة مرّة واحدة قائلاً بوعي والتفات إلى ما يحمله هذا الذكر من معاني:

(لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)١١[9].

٦ ــ **سبب فخر الله سبحانه:** وصى الرسول الأكرم (ص) أحد أنصاره ويدعى اسامة فقال: "**عليك بالسجود... فما من عبد يسجد لله سجدة إلاّ كتبَ الله له بها حسنة، ومحا عنه بها سيئة، ورفع له بها درجة وباهى به ملائكته (بأنه خضع لعظمة الله بالرغم من كل دوافع الباطل)**١١١[10]".

٧ ــ **الاعتراف الكنائي بالحياة الدنيا والآخرة:** سئل عليّ (ع): عن معنى السجود فقال: "**معناه منها خلقتني (يعني من التراب). ورفع رأسك من السجود معناه منها أخرجتني**

والسجدة الثانية وإليها تعيدني، ورفع رأسك في السجدة الثانية ومنها تخرجني تارة أخرى"[11].

وقد قال الله تعالى: **(الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً)**[12].

وفي موضع آخر قال في بيان الممدوحين من أتباع الأديان السماوية: **(يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون)**[13].

ويصف في آية أخرى السجود بأنه من خصائص رسول الله (ص) وأصحابه، فيقول: **(سيماهم في وجوههم من أثر السجود)**[14].

٩ ــ مباهاة الأرض: قال رسول الله (ص) لأبي ذر ما معناه: **"إن الأرض التي يضع المؤمن قدمه عليها، ويُظللها بوجهه أمام عظمة الحق لتُباهي سائر البقاع"**[15].

١٠ ــ سبيل بلوغ الأماني: كان الإمام الصادق (ع) كلّما ألمت به حاجة، أهوى رأسه إلى السجود، وقال سبع مرّات: **"يا أرحم الراحمين"** ثم يسأل الله حاجته. وكان يقول: **"من قالها سبعاً قال الله: أنا أرحم الراحمين سل حاجتك"**[16].

سجدة الشكر:

وردت فيما عدا السجدات التي نأتي بها في صلواتنا الواجبة والمستحبة توصيات عدة حول سجدة الشكر خارج الصلاة، لأن هذه الحال تكون سبب للقرب من الله وفرار الشيطان وضجيجه، وتعكس أسمى حالات الخضوع والتعبُّد. ففي رواية عن الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) قال: **"سجدة الشكر من ألزم السنن وأوجبها"**[17].

وعن الصادق (ع) قال: **"إذا ذكرت نعمة الله عليك، وكنت في موضع لا يراك أحد، فألصق خدّك بالأرض. وإذا كنت في ملاء من الناس فضع يدك على أسفل بطنك، وأحنِ ظهرك"**[18] وجاء في رواية أخرى أنه قال: **"إذا ذكر أحدكم نعمة الله عزّ وجل... فإن لم يقدر فليضع خدّه على كفه، ثمّ ليحمد الله على ما أنعم عليه"**[19].

وروي أن رسول الله (ص) كان يمر في طريق إذ أوقف الناقة، وترجّل منها، وسجد خمس مرّات. فسأله أصحابه عن ذلك فقال: **"نعم استقبلني جبريل، فبشرني بشارات من الله عزّ وجلّ فسجدت شكراً لله لكل بشرى سجدة"**[20].

إن التحلي بروح الشكر فضيلة تستحق الاستحسان، وتستدعي بشكل طبيعي زيادة النعمة عند الله سبحانه والناس.

القنوت والتشهد:

للقنوت والتشهد معاني مختلفة منها الدعاء والطاعة والسكون، والامتناع من الحديث، والقيام، والصلاة والخشوع والعبادة. فالقنوت في الصلاة بمعنى الدعاء والطلب الواقع بهيئة خاصة، حيث يؤدى في الركعة الثانية بعد القراءة وقبل الركوع. وقد ذهب بعض الفقهاء إلى أن الدعاء بكل لغة وبأي شيء جائز في القنوت، فيمكن للمصلي أن يدعو بالفارسية أو بغيرها.

كما جاء عن النبي (ص) أنه قال: "**أطولكم قنوتاً في دار الدنيا أطولكم راحة يوم القيامة في الموقف**"١١١[21] و"**أفضل الصلاة ما طال قنوتها**"١١١[22] وعن الإمام الرضا (ع) في رسالته إلى المأمون ذكرّه: "**أن القنوت من السنن الواجبة في كل صلاة**"١١١[23].

وقد كان أصحاب السير والسلوك وذو المعرفة والفقر إلى الله من أمثال العارف الرباني الملا هادي السبزواري يدعون في الصلاة دعاء الجوشن الكبير الذي يشتمل على أكثر من ألف أسم لله تبارك وتعالى، بينما يدعو آخرون من أصحاب النجوى في الخفاء والخلوة بالمحبوب بدعاء كميل، وأبي حمزة الثمالي في قنوت الصلاة.

والتشهد ما هو إلاّ شهادة بوحدانية الله ورسالة محمد (ص)، ورسول رحمة هدية إلى هادي الأمة ووسيط الرحمة وآله المكرمين حيث يتشهد مرة في كل صلاة ثنائية، ومرتين في كل صلاة رباعية بما يأتي:

"**أشهد أن لا إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، اللهُم صل على محمّد وآل محمّد**".

وقد أُشير في الروايات إلى كيفية الصلاة على محمّد. وأيّد أهل السنة أيضاً النحو المذكور من الصلاة إذ يقول البخاري: سئل رسول الله عن الصلاة فقال: قولوا:

"**اللهم صل على محمد وعلى...**"١١[24].

وللشافعي أشعار يقول فيها:

يا آل بيت رسول الله حبكمُ

فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم الشأن أنكم

من لم يصل عليكم لا صلاة له١[25]

وبعد التشهد من الركعة الأخيرة من الصلاة يسلم على النبي (ص) في السلام الأول وعلى عباد الله الصالحين في السلام الثاني، وعلى الأنبياء والملائكة في السلام الثالث وبذلك تنتهي الصلاة.

الدرس العاشر
شوق اللقاء وألم الفراق
الصلاة في أول الوقت
تعقيبات الصلاة
١ ــ التكبير
٢ ــ تسبيح الزهراء (ع)
٣ ــ البراءة من أعداء الإسلام ولعنهم
٤ ــ الاستغفار
٥ ــ سجدة الشكر
٦ ــ التبرّك بالمسجد

الدرس العاشر

شوق اللقاء وألم الفراق

الصلاة في أول الوقت:

تقدم في البحوث السابقة أن الصلاة حوار مع المعبود ولقاء به. ولهذا الاعتبار نجد أولياء الله الصالحين الذين لا يعرفون لهم ولياً غير الله سبحانه وتعالى، ينتظرون بفارغ الصبر كل فرصة، ليبعثوا الحياة مرة أخرى في أرواحهم وأبدانهم المرهقة من عالم المادة. حيث يستعدون للمثول بين يدي المعشوق، ويأخذون للأمر عدّته، حتى قبل أن يحين وقت الصلاة، فيأتون بالمقدمات واجبة ومستحبة، وينظفون أبدانهم وثيابهم، ويعطرونها بمختلف العطور تهيّؤاً للقائه.

ونؤكّد هنا ما مرّ في بحث الاهتمام بالصلاة ضرورة أداء الصلوات في أوّل وقتها. فان كلّ صلاة وإن كان لها وقتاً موّسعاً. لكن ما يدعو إليه المؤذن تأكيد على لزوم المبادرة إلى الصلاة، والتعجيل في إقامتها في أوّل الوقت، وعدم صلاحية جعل العمل مبرراً لتأخيرها.

فقد كان أمير المؤمنين (ع) في أوج الحرب واحتدام القتال يتحيّن وقت الصلاة ويقول ما معناه: "**تقاتل لإقامة الصلاة**"١١١[1].

---

١ [1] إرشاد القلوب.

وأقام نجله الإمام الحسين (ع) ظهر العاشر من محرم الصلاة في ساحة القتال رغم انهيال السهام والحراب عليه١[2]. وقطع الإمام الرضا (ع) الحوار مع أحد اتباع الأديان السالفة ــ مع أنّ البحث بلغ مرحلة مهمّة ورغم إصرار الطرف المقابل على مواصلة النقاش، وإعلان استعداده لاعتناق الإسلام ــ وأسرع نحو الصلاة١[3].

وقد قيل له مرّة: "ننتظر يلحق بنا أصحابنا" فأوصاهم بإقامة الصلاة في أول وقتها في مختلف الظروف ما أمكنهم ذلك، ثم أقام الصلاة.

وعندما كان الإمام الخميني (رض) في باريس اجتمع في منزله يوماً حوالي ثلاثمئة صحفي في مقابلة صحفية، ليسألوه عن آرائه حول فرار الشاه (الملك) من إيران والتطورات الحاصلة لكنه لم يكد يُسأل سوى بضع أسئلة إذ حلّ وقت الصلاة فنهض الإمام، وأسرع نحو الصلاة رغم الإصرار عليه بالاستمرار في المقابلة ولو لفترة قصيرة١[4].

وفي أسفاره لم يدع الإمام (رحمه الله) الصلاة في أوّل وقتها رغم ما كان يسبّب له السفر من تعب وعناء، وفي مرضه أيضاً رغم ما يعانيه من الوجع والألم. وفي المدة التي قضاها في المستشفى طلب من الأطباء يوماً ــ بعد تناوله قرصاً منوّماً ــ إيقاظه عند أذان الظهر إذ لم يكن واثقاً من استيقاظه أوّل الوقت، فلما حلّ وقت الصلاة لم يشأ الأطباء إيقاظه وإزعاجه من النوم، فاستيقظ (رحمه الله) وقد مضى على الأذان مدة، فقام منزعجاً وصلى ثم تناول طعامه.

وسأل موسى (ع) ربّه في مناجاته: **"إلهي ما جزاء من صلى الصلاة لوقتها؟ قال: أعطيه سؤله وابيحهُ جنتي"١١١**[5].

وفي رواية عن النبي الأكرم (ص) قال: **"ما من عبد أهتم بمواقيت الصلاة، ومواضع الشمس إلاّ ضمنت له الروح عند الموت، وانقطاع الهموم والأحزان، والنجاة من النار"١١١**[6].

تعقيبات الصلاة:

إن مفارقة الأعزّة، وتوديع الأخلّة أمر صعب جداً، ولا يحصل إلاّ بتثاقل وإكراه. والصلاة قرّة عين الرسول (ص) وأتباعه، وعزيزة نفوسهم كيف يمكن توديعها بسهولة؟! إن تعقيبات الصلاة علامة على أن المصلّي لا يختم الصلاة متجاهلاً أو متهاوناً، بل مصراً على مواصلة الارتباط بالله سبحانه، وأن لقائه بالصلاة لقاء عشق ومحبّة، وتوديعه إياها وداعاً صعب التصديق.

وتنقسم الأدعية التي يدعو بها المصلي عقب الصلاة إلى قسمين: عامّة (تقرأ عقب كل صلاة يومية)، وخاصة (تقرأ عقب صلاة معينة) منها. وجميعها وارد عن الأئمة المعصومين (ع)، فعن الإمام الصادق (ع) قال: "**ثلاثة أوقات لا يُحجب فيها الدعاء عن الله عزّ وجلّ: في أثر المكتوبة، وعند نزول القطر، وظهور آية معجزة لله في أرضه**"١١١[7].

وفي حديثٍ آخر عن الرضا (ع) قال: قال رسول الله (ص): "**من أدى فريضة فله عند الله دعوة مستجابة**"١١١[8].

وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: "**يا ابن آدم اذكرني بعد الغداة ساعة، وبعد العصر ساعة اكفك ما أهمك**"١١١[9].

وروي أن أحد أصحاب الإمام الباقر (ع) قال له: جعلت فداك! أنهم يقولون أن النوم بعد الفجر مكروه، لأن الأرزاق تقسّم في هذا الوقت؟ فقال: "**الأرزاق موظوفة، مقسومة، ولله فضل يقسمه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وذلك قوله**": **(واسألوا الله من فضله)**١١١[10].

وتضمنت رواية أخرى الوعد للمصلي بزيادة الشرف، ومحو السيئات، وكتابة الحسنات، ما دام جالساً في مصلاه عقب الصلاة حتّى ينصرف١[11]:

وجاء في رواية أخرى: "**إذا قام المؤمن في الصلاة بعث الله عزّ وجلّ الحور العين حتّى يحدقن به (ليرين ما يطلب)، فإذا انصرف ولم يسأل الله منهنّ شيئاً انصرفن متعجبات (كيف غفل عن اغتنام هذه الفرصة**"١١١[12].

وفيما يلي جملة من أهم الآداب والتعقيبات المستحب قراءتها بعد الصلاة:

١ ــ **التكبير**: في رواية عن رسول الله (ص) أنه عندما فتح مكّة، وزار الكعبة، وصلّى الظهر عند الحجر الأسود، كبّر ثلاثاً بعد التسليم، ودعا بدعاء الوحدة مع أصحابه قال مخاطباً أصحابه: "**لا تدعوا هذا التكبير، وهذا القول في دبر كل صلاة مكتوبة، فإن من فعل ذلك بعد التسليم، وقال هذا القول كان قد أدّى ما يجب عليه من شكر الله تعالى ذكره على تقوية الإسلام وجنده**"١١١[13].

٢ ــ **تسبيح الزهراء (ع)**: هو أدب خاص علّمه رسول الله (ص) ابنته يقول فيه المصلي "الله أكبر" (٣٤) مرّة، ثمّ "الحمد لله" (٣٣) مرّة، ثمّ "سُبحان الله" (٣٣) مرّة. وقد

جاء في رواية أن هذا التسبيح يوجب غفران الذنوب، ويدفع الفقر، والأمراض الروحية والجسميّة[14].

وعن الإمام الباقر (ع) قال: "**ما عبد الله بشيء من التحميد أفضل من تسبيح فاطمة (ع) ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله (ص) فاطمة (ع)**"[15] وفي رواية أخرى قال الصادق (ع) لأحد أصحابه:

"**أنا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة، كما نأمرهم بالصلاة، فإنه لم يلزمه عبد فشُقي**"[16].

٣ ــ **البراءة من أعداء الإسلام ولعنهم:** إن الإرتباط بالله سبحانه لابد وأن يقترن بالبراءة من غيره. فعن اثنين من أصحاب الإمام الصادق (ع) قالا: سمعنا أبا عبد الله (ع) وهو يلعن في دبر كل مكتوبة أربعة من الرجال، وأربعاً من النساء[17].

فإن هذه الرواية تعكس بوضوح أن البراءة واللعن كانا قد وقعا بصوت عالٍ، غير أنه لابدّ من الالتفات إلى أن اللعن والبراءة يجب أن ينصبّا على أعداء الإسلام والمسلمين المعروفين بعداوتهم، وأن يكونا سبباً في وحدة المسلمين وصلابتهم.

٤ ــ **الاستغفار:** يذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم وجود عنصرين بين المسلمين هما اللذان يحولان من عذاب أُمّة الرسول (ص) حيث يقول:

(وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله مُعذبهم وهم يستغفرون)[18].

وعن أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة قال: "**كان رسول الله (ص) والاستغفار حصنين لكم في العذاب، فقضى أكبر الحصنين، وبقي الاستغفار، فاكثروا منه**"[19].

٥ ــ **سجدة الشكر:** روي عن الإمام الرضا (ع) قال: "**السجدة بعد الفريضة شكراً لله عزّ وجلّ على ما وفّق له العبد من أداء فريضة. وأدنى ما يجزي فيها من القول، أن يقال: شكراً لله، شكراً لله، شكراً لله، ثلاث مرات.**

يقول العلامة المجلسي (رحمه الله) في ذيل الحديث المذكور ما نصُه:

"**فإن كان في الصلاة تقصير لم يتم بالنوافل تمّ بهذه السجدة**"[20].

هذا وقد تقدمت بعض الإيضاحات حول فضل وأهمية سجدة الشكر في باب السجود.

فبعد أداء العبادة وسجدة الطاعة يحين الوقت للاستغفار، وطلب الصفح، والعفو من الله سبحانه. ففي رواية عن الصادق (ع) قال بعد تعليمه الاستغفار ما مضمونه: "**فما من أحد قال هذا إلاّ غفر الله له في كل يوم ٤٠ كبيرة**"١١١[21].

٦ ــ التبرّك بالمسجد: المصافحة خاتمة كل لقاء، فقد أُمر في وداع الصلاة أيضاً بأن يمرّ المصلي يده على موضع السجود، ويمسح بها وجهه وجسمه، وهو ما يضمن السلامة من كل مرض وضعف١[22].

الدرس الحادي عشر
صلاة الجماعة
آثار صلاة الجماعة
قانون صلاة الجماعة وآدابها

صلاة الجمعة

الدرس الحادي عشر

صلاة الجماعة

بنيت الثقافة الإسلامية على أساس طرد الأنانية، وإخراج الإنسان من انفراده وعزلته، ونطاقه الخاصّ به. فكل واحد من التعاليم والالتزامات الشرعية تدفع المجتمع بنحو من الأنحاء إلى الانضمام إلى عموم البشرية. وأغلب أذكار الصلاة وشعاراتها تدعو الإنسان نحو هذا الشعور، وتوجهه سائر التعاليم من الصلاة والخمس، والزكاة، والحج والجهاد، والتولي والتبرّي، وغيرها إلى هذا الهدف.

ففي رواية عن رسول الله (ص) قال: "**من خلع جماعة المسلمين قدر شبر خلع ربقة الإيمان من عنقه**"١١١[1].

وفي حديث آخر له شبّه (ص) أفراداً كهؤلاء، وهم في عموم الناس، بالشاة المنفردة عن القطيع التي لن تكون إلاّ من حصة الذئب، حيث يقع إنسان كهذا في حبائل الشيطان، ويتمكن الشيطان من خطفه.

لذا فإن الإسلام يوصي الإنسان أن يتجنب في سفره وحضره، وحركته وسكونه، العزلة والانفراد. ولهذا السبب وغيره من الأهداف يحث الإسلام الإنسان على صلاة الجماعة، ويعدّها أفضل من كل عبادة.

جاء في رواية أن علياً (ع) بقي ساهراً ليلة حتى الصباح في العبادة، فلمّا أذّن الفجر صلّى فرادى، وعاد إلى المنزل، ونام. وفي الفجر من ذلك اليوم نظر رسول الله (ص) في صف المصلين، فلم يجد عليّاً (ع)، فذهب إلى منزله، وسأل عن حاله، فأخبرته الزهراء (ع) بالأمر فقال: "**ما فاته من صلاة الغداة في جماعة أفضل من قيام ليله كله**"، فانتبه علي (ع) لكلام رسول الله (ص) فقال له:

---

١ [1] الوسائل ج٥، ص٢٧٧.

"**يا علي! إن من صلّى الغداة في جماعة فكأنما قام الليل كلّه**"١١[2].

وعن رسول الله (ص) في رواية أخرى قال: "**فان زادوا (المصلون) على العشرة فلو صار السماوات كلها مداداً والأشجار أقلاماً والثقلان مع الملائكة كتّاباً لم يقدروا أن يكتبوا ثواب ركعة واحدة**"١١١[3].

وقال رسول الله (ص):

"**صلاة الرجل في جماعة خير من صلاته في بيته أربعين سنة**" فقيل يا رسول الله صلاة يوم؟ فقال: "**إذا كان العبد خلف الإمام كتب الله له مائة ألف ألف وعشرين درجة**"١١١[4].

وفي حديث آخر أن رسول الله (ص) قال ما معناه: "**من لزم الجماعة مرّ على الصراط كالبرق وظفر بالجنة**"١١١[5] وفي رواية أن رجلاً أعمى دخل على رسول الله (ص) فقال: "**يا رسول الله أنا ضرير البصر وربما أسمع النداء ولا أجد من يقودني إلى الجماعة والصلاة معك فقال له النبي (ص): شدّ من منزلك إلى المسجد حبلاً وأحضر الجماعة**"١١١[6].

وبعد أن ألقينا نظرة عامة على صلاة الجماعة، نبحث فيما يأتي عوائدها وآثارها إن شاء الله تعالى.

آثار صلاة الجماعة:

١ ــ **عرض الإسلام على المجتمع:** للدعوة إلى اعتقاد وطريقة معينة انحاء وأساليب مختلفة. ومع دخول التقنيات والوسائل العصرية الحديثة في الإعلام، لم يعد خافياً على أحد مدى ما لوضع عينة في مرأى العموم، أو تقديم نموذج مصغّر (ما كيت)، أو صورة معبّرة من الأثر في اجتذاب الأشخاص والتأثير عليهم. والصلاة نموذج مصغر عن الإسلام، وعقيدة مجسدة للدين، ومثال حيّ معبّر عن الإسلام فعلى حدّ قول الإمام الرضا (ع) "**أنها تتمُّ الحجة على كثير من الناس، فلا يعتذرون بجهلهم عن الإسلام والعقيدة**"١١١[7] إذ يقال لهم: إنكم تشهدون قيام الشعائر الدينية العامّة الكبيرة في المجتمع، فلم تمتنعون من السؤال عن سبب ذلك؟!

٢ ــ **التوفيق الإجباري:** وإن بين المتظاهرين بالإيمان والإسلام من لا يعتقدون في مقام العمل بلوازم إيمانهم وإسلامهم. فإقامة صالة الجماعة، وعمومية ثقافة الاشتراك فيها،

يدفع هذه الفئة إلى أن تؤدّي صلاتها مع الجماعة وإذا كانوا متساهلين في أمر الصلاة، أو في أدائها في أول وقتها، فإن أرضية هذا التوفيق ستكون معدّة لهم.

٣ ــ تعرف المسلمين على بعضهم: عندما نبحث بين البرامج والخطط والأساليب المتخذة لإحداث التعارف بين فئة وأخرى سنجد أن برنامج الصلاة يمثل أسلم الطرق والبرامج، وأقواها عاطفة، وأنفسها قيمة، وأقلّها نفقة.

فإن المسلمين سيكونون قادرين في ظل هذا البرنامج الديني والعبادة الجماعية أن يتعارفوا فيما بينهم، ويتعاونوا في مواضع تعرضهم للابتلاء والحوادث غير المرتقبة، ويؤيد ابناء المسجد الواحد، والجماعة الواحدة صاحبهم إذا احتاج إلى شهادة في محكمة، أو فصل في أمر، أو قبول شهادة، أو استفسار وسؤال وغير ذلك.

فعن الصادق (ع) قال: "**من صلى خمس صلوات في اليوم والليلة في جماعة فظنوا به خيراً، وأجيزوا شهادته**"١١١[8] وعن رسول الله (ص) في رواية أخرى قال: "**إذا سُئلت عمّن لا يشهد الجماعة، فقل: لا أعرفه**"١١١[9].

فصلاة الجماعة تهيء الأرضية اللازمة للتعارف الإيجابي.

٤ ــ بث جو المعروف في المجتمع: يبعث صوت المؤذن، وإقامة صفوف الجماعة على انتشار عطر المعنوية والتقوى في المجتمع، ويؤدي ــ بعبارة أُخرى ــ إلى التجسيد العملي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ يمنح الموحدين القوّة والنشاط والأمل، ويبعث في أصحاب مقاصد السوء روح اليأس والانزواء١[10]. فإن حركة المؤمنين المتراصّة نحو المساجد، وتعطيل جميع الأعمال والمشاغل غير الاشتغال بذكر الله، وامتثال أمره بغير الجوّ الحاكم في المجتمع. وينير هذا الالتزام والتقليد القلوب المظلمة بنور الإيمان ويحييها بالمعرفة، ويزيد في رجحان كفّة المؤمنين بالدين على المتعلقين بالدنيا الطالبين لها.

٥ ــ بث الخوف والرعب في الأعداء: تعتبر مناورات استعراض القوّة البشرية والإمكانيات المادية اليوم من جملة الخطط والبرامج الاستراتيجية المكلفة التي تستخدمها القوى لاستعراض وإظهار وجودها أمام الآخرين في الظروف المختلفة. وصلاة جماعة المسلمين مناورة سليمة وهادئة لاستعراض القوة تؤدى يومياً من دون حاجة إلى تخصيص ميزانية وبذل مال. فإن صفوف المصلين المتراصة في كل زقاق وساحة ومكان يمثل استفتاء يحجز الأعداء عن التفكير في إلحاق الضرر بالمسلمين، ووضع الخطط والمؤامرات ضدّهم١[11].

صلاة الجماعة إعلان عن الوجود والصمود بوجه الكفار، فعندما أمر الله تبارك وتعالى نبيه أن يعلن عن دينه كانت إقامة صلاة الجماعة التي شارك فيها الرسول الأكرم (ص)، وأمير المؤمنين (ع)، وجعفر بن أبي طالب أولى خطواته في هذا السبيل[12].

٦ ــ **حفظ المكانة الاجتماعية:** إلى جانب الوعود المعطاة إلى المشاركين في صلاة الجماعة، يوجد في الجانب الآخر تهديدات شديدة أيضاً من الإسلام للذين ينأون عن الجماعة الإسلامية. فمن جملة هذه التهديدات ما ورد عن الرسول الأكرم (ص) حيث قال: "**لا غيبة إلاّ لمن صلّى في بيته ورغب عن جماعتنا**"[13] قال: "**ومن رغب عن جماعة المسلمين سقطت عدالته**[14] **ووجب هجرانه**"[15].

لذا فإن المحافظة على المكانة الاجتماعية مرهون بالاشتراك في صلاة جماعة المسلمين، فمن دخل في صلاة الجماعة نال هذا الاعتبار وهذه الهوية الأصيلة.

قانون صلاة الجماعة وآدابها:

هناك بعض المقررات والأحكام الخاصة بصلاة الجماعة ينبغي على الجميع الاهتمام بها نستعرضها فيما يلي باختصار:

١ ــ يؤكد الاخوة من أهل السنة تأكيداً شديداً على تنظيم صفوف صلاة الجماعة وهو ما يجب أن يراعى في صفوف جماعة الشيعة أيضاً فهذه سنة رسول الله (ص) وسيرته حيث كان يهتم اهتماماً بالغاً بهذا الأمر، ويتولى بنفسه تنظيم صفوف الجماعة[16] وكان علي (ع) يقول: "**سدّوا فُرج الصفوف من استطاع أن يتم الصف الأوّل، والذي يليه فليفعل، فإن ذلكم أَحبُّ إلي نبيكم، وأتموا الصفوف فإن الله وملائكته يصلّون على الذين يتمون الصفوف**"[17].

وينبغي أن نؤكّد في هذا الخصوص على أن الوقوف في الصفوف الأولى يتضمن ثواباً وأجراً وميزة أكبر، حتى أن رسول الله (ص) قال ما معناه: "**لو يعلم الناس ما في الصف الأوّل لضربوا عليه بالسهام**"[18]. لكن المصلين يتحاشون ــ للأسف ــ لأسباب مجهولة أو لغير سبب أصلاً الحضور في الصف الأوّل مفضّلين الوقوف في الصفوف الوسطى أو الأخيرة. وهذا الأمر خطأ لابدّ من معالجته وتصحيحه والتأكيد على أن ترك الصفّ الأول من الجماعة ليس أمراً فطرياً. ويلي الصف الأوّل في الأفضلية الجانب الأيمن من إمام الجماعة. فإذا كان عدد المصلين ضئيلاً، استحب لهم الوقوف في الجانب الأيمن من الإمام[19]. ولابد على كل حال من أن تكون الصفوف متّصلة، ولا تكون بين المصلين فواصل.

٢ ــ يجب على المصلي أن يحرز شروطاً في إمام الجماعة نظير العدالة والعقل، وطهارة المولد، وصحة قراءته للحمد والسورة وغيرها. لكن لا ينبغي الفحص والتحقق في هذا الأمر زيادة عن اللزوم، فيكفي الحكم بحسب الظاهر أو الاعتماد على شهادة الشهود. فقد اشير في الروايات إلى ملاكات نظير الوعي والفضل والتقوى، ومراعاة احترام الكبير لا سيما الوالدين، وعدم الانحراف العقائدي، واتباع إمام الحق، وعدم الغلو والإفراط في تنزيه ومدح النبي (ص) والأئمة (ع).

٣ ــ يمكن للنساء عند إحرازهن لسائر الشروط الواجب توفرها في إمام الجماعة أن يؤمَّن غيرهن من النساء، ويجب عليهن ــ سواء كنّ في مقام الإمام أو المأموم ــ مراعاة جميع الأمور التي تكون دخيلة في حفظهن وصيانتهن من الرجال الأجانب.

إذ أن بين الرجل والمرأة اختلاف في الأحكام لوحظ ابتداءً من الترتيب في الوضوء وآدابه وانتهاءً بكيفية أداء سجدة القراءة وسائر الآداب والأحكام تظهر مدى تأكيد واضع القوانين ودقته فيما يخص المحافظة على عفة النساء.

٤ ــ يجب أن تكون المساجد مزينة وجميلة وجذابة وينبغي على الأفراد رعاية هذا النظم والجمال، كما عليهم أن يعطروا أنفسهم للصلاة، لا أن تؤدّي الرائحة الكريهة لأرجلهم أو غبار هجر المسجد وقدمه إلى هروب الناس منه.

٥ ــ يجب على إمام الجماعة أن يتحاشى إطالة الصلاة، وعليه أن يخفف في الصلاة بحيث تناسب أضعف المشاركين فيها. فقد روي عن النبي (ص) أنه:

"كان من أتمّ الناس صلاة وأخفهم"[20].

٦ ــ يجب أن يكون القائمون على أُمور المساجد من المتحلّين بالأدب وحسن الخلق، والجاذبية ليترك خاطرات طيبة في أذهان المراجعين. وينبغي أن يكون المسجد مصدراً للمحبة والرحمة، وتحذف من مسؤوليات المسجد الأمور المتعلقة بالمعاش وبطاقات التموين التي يحصل عليها البعض ويحرم منها آخرون، وتؤدّي إلى انتقاش خاطرات مملّة وسيئة، لتوكل إلى جهة أخرى.

٧ ــ يجب على الإمام أن يقرأ في صلواته بنحو يسمع المأموم قراءته. لكن لا ينبغي للمأمومين أن يأتوا بالأذكار بصوت يسمعه الإمام[21].

٨ ــ يستحب للإمام إذا أحس بشخص ينوي الاقتداء به في الركوع أن يطيل في ركوعه. كما يستحب له أن لا يترك مصلاه بعد الصلاة قبل المأمومين إلاّ في الحالات الضرورية[22].

٩ ــ يمكن للمأموم أن يقتدي بالإمام قبل أن يرفع رأسه من الركوع، وتحسب له ركعة كاملة. وينبغي للمأموم في الركعات التي يقرأ الإمام فيها الحمد والسورة أن يصغي ــ مع سكوته المطبق ــ بكلتا اذنيه إلى الإمام وهو يقرأ.

١٠ ــ إذا حدث للإمام عذر منعه من الاستمرار في الصلاة، أو حدث أن اتم الإمام صلاته يجوز لأحد المأمومين الواجدين للشروط تولي إمامة الجماعة، وأخذها على عاتقه.

صلاة الجمعة:

في يوم الجمعة تصب عيون الفيض والعبودية التي لا يحصر ولا عدّ لها (صلوات الجماعة)، مرّة في الأسبوع في محيط لا حدّ له ولا غاية من المؤمنين، وفي هذا التجمع العظيم يتجه المؤمنين المتدينون والملتزمون بقلوب عامرة بالتقوى، والعودة إلى الله إلى إقامة صلاة الجمعة.

وصلاة الجمعة ركعتان يجب أداؤهما جماعة، ويقوم إمام الجماعة خطيباً، فيخطب خطبتين في الناس، يتناول فيهما إضافة إلى التوصية بالتقوى، والعمل الصالح، المسائل والأمور السياسية ــ الثقافية للعالم الإسلامي.

ووقت صلاة الجمعة من زوال الظهر ولمدة ساعة منه تقريباً. وأقل ما تنعقد به صلاة الجمعة خمسة أشخاص[23].

لقد وصف رسول الله (ص) صلاة الجمعة **بحج المساكين**[24] **وأنها كفارة الذنوب**[25]، **وأنها توبيخ وتقريع للمنافقين**[26].

ومن ترك هذه الفريضة العظيمة ثلاثة أسابيع من دون عذر ختم الله على قلبه بالنفاق[27].

لقد دعيت جميع الطبقات إلى المشاركة في صلاة الجمعة، وكان علي (ع) يحضر السجناء صلاة الجمعة مع المراقبة أو بضمان من عوائلهم[28].

وفي رواية عن الصادق (ع) قال: "**أيّما مسافر صلّى الجمعة رغبة فيها، وحباً لها، أعطاه الله عزّ وجلّ أجر مائة جمعة للمقيم**"[29] وجاء في أُخرى عن رسول الله (ص) بعد لعنه تاركي صلاة الجمعة أنه قال:

"**فمن تركها في حياتي، أو بعد مواتي استخفافاً أو جحوداً لها فلا جمع الله شمله، ولا بارك الله في أمره، ألا ولا صلاة له... ألا ولا زكاة له... ألا ولا حجّ له... ألا ولا صوم له... ألا ولا برَّ له حتى يتوب**"[30].

إن حضور بعض الشخصيات في صلاة الجمعة إلزامي فعن الإمام الباقر (ع): "**تجب الجمعة على سبعة نفر من المسلمين (المؤمنين) ولا تجب على أقل منهم، الإمام وقاضيه والمدعي حقاً والمدعى عليه، والشاهدان، والذي يضرب الحدود بين يدي الإمام**"١١١[31].

وإمام الجمعة حاله حال القاضي والحاكم يتم نصبه من قبل قائد المجتمع الإسلامي كما كان يفعل رسول الله (ص) ذلك١[32].

وقد أكد في روايات كثيرة أن الإمام حين يقف خطيباً في المصلين يجب على المؤمنين السكوت، وتمثلهم حال الصلاة١[33].

وعلى إمام الجمعة أن يحضر الصلاة معطراً، معمّماً، متصّفاً بالوقار وحسن المظهر١[34].

الدرس الثاني عشر
الصلوات غير اليومية
صلاة الليل
صلاة العيد
صلاة الآيات
صلاة الميت
صلاة الاستسقاء
صلاة القضاء

الدرس الثاني عشر

الصلوات غير اليومية

صلاة الليل:

تمثل الصلاة اليومية لقاءً لعامة الناس، وأما الراغبون في الحصول على أُنس أكبر وارتباط أقوى وأشد فقد خصص لهم لقاء خاص، نظم وقته في ساعات الخلوة، ليدخلوا حضرة الله سبحانه، بعيداً عن كلّ شغل شاغل ويجالسوه. صلاة الليل وقت ملاقاة عاشقي القرب إلى الله في أقرب ارتباط روحي معنوي، وإذا جُعلت الفرائض اليومية تجسيداً لطاعة الله وعبادته، يمكن اعتبار صلاة الليل تمثيلية في الحبّ والعشق والوله بالله سبحانه. يقول القرآن الكريم في مدح عبّاد الليل:

(إنما يؤمن بآياتنا الذين... تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون. فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)[1].

وقال الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي:

"كذب من زعم أنه يحبّني فإذا جنّة الليل نام عني أليس كل محب يحبُّ خلوة حبيبه"١١[2].

فالاختلاء بالله سبحانه وتعالى توفيق لا يناله كل أحد. فما لم يكن الراغب في هذه الخلوة محرماً، يتحاشى الإثم والمعصية والذنوب فلا سبيل له إلى هذا الحريم المقدس. إذ كلّما شعر بلذّة هذا الحوار منعه الإثم ولوث المعصية من هذا التوفيق. فقد جاء رجل إلى الإمام علي (ع)، فقال: إني قد حرمت الصلاة بالليل، فقال أمير المؤمنين (ع): **"أنت رجل قد قيدتك ذنوبك"**١١١[3]. وفي حديث آخر عن الإمام الصادق (ع) قال: **"إن الرجل ليكذب الكذبة فيحرم بها صلاة الليل"**١١١[4].

إن صلاة الليل تترك آثاراً كبيرة على شخصية المناجي، ووجهه، وحياته فعن الإمام الصادق (ع) قال: **"صلاة الليل تحسن الوجه وتطيب الريح وتدر الرزق"**١١١[5].

وعن رسول الله (ص) قال: **"فمن رزق صلاة الليل من عبد أو أمة قام الله مخلصاً، فتوضأ وضوءاً سائغاً، وصلى لله عزّ وجلّ بنية صادقة، وقلب سليم، وبدن خاشع، وعين دامعة جعل الله تعالى خلفه تسعة صفوف من الملائكة، في كل سف ما لا يحصي عددهم إلاّ الله، أحد طرفي كل صف بالمشرق، والآخر بالمغرب. قال: فإذا فرغ، كتب الله عزّ وجلّ له بعددهم درجات"**١١١[6] **ويقول الله لملائكته: "انظروا إلى عبدي، فقد تخلى بي في جوف الليل المظلم، والبطالون لاهون، والغافلون نيام، أشهدوا أني غفرتُ لهُ"**١١١[7].

وروي عن الإمام الصادق (ع) أنه كان يصف المحرومين من قيام الليل، والتهجد في السحر بأنهم المغبونون في حياتهم١[8].

لقد كان قائد الثورة الإسلامية الإمام الخميني (رض) في سفره وحضره مواظباً مدّة بلوغه وشبابه، وحتى أواخر عمره على إقامة الصلاة ونافلة الليل. يقول نجل الإمام: لاحظت في أحد الأيام والدي متأثراً باكياً بنحو لم يسبق لي أن رأيته بمثل تلك الحال، فاستحييت أن أسأله عن ذلك، فسألت والدتي عن السبب فقلت: ما سبب قلب الإمام (رحمه الله)؟ فقالت: كانت صلاة ليلة البارحة قضاء فهو متأثر وغير مرتاح لذلك"١[9].

ويخاطب الإمام علي السجاد (ع) الله تبارك وتعالى مناجياً إياه فيقول: **"إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلاً"**١١١[10].

لقد أثبت أبناء الإمام الأحرار خلال المدة التي قضوها في سجون حزب البعث صحة هذا الإدعاء، وجسدوه عملياً في عصرنا الحاضر. فبالرغم من أنهم كانوا يتحملون ــ لأجل إقامة كل ركعة من الصلاة، وبذنب قيامهم في جوف الليل، وإحيائهم إياه بالصلاة ــ

السياط، والتعذيب الروحي والبدني، ما كانوا مستعدين أبداً حتى في اللحظة التي كانوا يرزحون فيها تحت سياط العدو وتعذيبه وهجومه الوحشي أن يتركوا مواصلة صلاتهم والأنس بالله سبحانه وتعالى.

وقد دوّنت في هذا الخصوص خاطرات عنهم مؤثّرة جدّاً. فقد جاء في إحدى الخاطرات أنّ مجاهداً من المجاهدين الأحرار كان مشغولاً ليلة بالمناجاة في عروجه الملكوتي بصلاة الليل، إذ دخل خفر عراقي فعرفه. وفي الغد من ذلك اليوم ــ حيث كان يوماً بارداً ــ انهال عليه جمع من العسكريين العراقيين يضربونه بموصل الكهرباء (كابل)، حتى تعبوا من كثرة الضرب لكنه مع ذلك استمر بالصلاة في الليالي الأخرى[11].

وجاء في خاطرة أخرى لأحد الأحرار: أوصيت ليلة أحد الحراس ــ المنصوب من قبلنا لمراقبة حال اخوتنا الأسرى ــ بأن يوقظني لصلاة الليل. فلما أوقظني لمناجاة المعبود، لاحظت أن أكثر من تسعين في المئة من الأخوة الذين كانوا معنا منهمكين في صلاة الليل، فاستحييت من نفسي. هذا والحال أن الحراس العراقيين الخفر لو علموا بذلك، وسجل اسم المصلي عومل كمذنب وعليه أن يدفع في الغد من تلك الليلة غرامة قيام الليل هذا عبر تحمل الضرب بموصل الكهرباء (الكابل) وأنابيب المياه البلاستيكية، وربما بالعمود الحديدي المفتول. وقد يحدث أن يدعى جميع من في المخدع إلى وليمة كهذه![12].

فهؤلاء حسينيّو العصر حقاً وواقعاً، والأتباع الخلّص لسيرة الأنبياء والأئمة المعصومين وسنتهم، فطابت ذكراهم وحسنت خواطرهم العطرة.

إلهي... نسألك أن تهب مجتمعنا توفيق المحافظة على هذه القيم العالية، لا سيما شبابنا الأعزاء، والمحققين من علمائنا الأعلام.

صلاة العيد:

يقام العيد الإسلامي ــ وخلافاً لجميع الاحتفالات والأفراح المتعارفة التي تمتزج بمختلف أساليب اللعب واللهو وارضاء الشهوة ــ بالصلاة والدعاء، والإنفاق والغسل وصلة الرحم. أساساً إن كل يوم يقضى في الطاعة والعبادة والتحلي بالفضائل والأخلاق والسجايا الإنسانية يعتبر عيداً في الثقافة الإسلامية فعن أمير المؤمنين علي (ع) قال:

"كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد".

إذا أن المسلمين يبدأون أيام عيد الفطر والأضحى بصلاة العيد وهي صلاة تتألف من ركعتين، يؤتى في الركعة الأولى منها بعد الحمد بخمس تكبيرات، يتبع كل تكبير قنوت، بينما يكبر في الركعة الثانية أربع تكبيرات، ويقنت عقب كل تكبيرة بقنوت.

تؤدى هذه الصلاة جماعة، وقد أُمر في كل قنوت منها بدعاء خاص مكبّراً قبله وبعده، وخير صبغة تتصف بها هذه العبادة الشكر فيما يخص التوفيقات والعنايات التي تفضل بها الله سبحانه على عباده في أداء عباداته وطاعته في شهر رمضان المبارك، أو في الأيام العشرة المباركة من ذي الحجة. وفي هذه الصلاة يسأل العباد الله سبحانه وتعالى أن يقدّر لهم كل خير قدّره للنبي (ص) وآله (ع)، وأن يقيهم كل شر وقاهم منه.

صلاة الآيات:

إن الإنسان مع كل ما له من الشرف والكرامة يتعرض أحياناً إلى إنحاء من الضعف نظير النسيان، والغفلة، والطموح، والبخل، والمنّة، وأمثال ذلك. لذا فالمربّي الأصلي للخلق استغل كل فرصة وعذر لتخليصه من الأخطار، والانحطاطات الخلقية وإخراجه من حال الغفلة. فعند بروز بعض الحوادث والظواهر الأرضية والسماوية كالزلزلة والخسوف والكسوف يدعو الإنسان إلى موضع رحمة الله سبحانه.

ففي رواية عن الإمام الرضا (ع) قال: "**إنما جعلت للكسوف صلاة لأنه من آيات الله لا يُدرى للرحمة ظهرت أم لعذاب فاحبّ النبي (ص) أن تفزع أمته إلى خالقها وراحمها عند ذلك ليصرف عنهم شرّها، ويقيهم مكروهها كما صرف عن قوم يونس (ع) حيث تضرعوا إلى الله عزّ وجلّ**"١١١[13].

ومع أن هوية الزلزلة والخسوف والكسوف تعبّر عن نوع من سخط الله وغضبه، إلاّ أن الإسلام حارب كل نوع من التفسير الخرافي لها. فقد اقترن في عهد رسول الله (ص) كسوف الشمس مع وفاة إبراهيم ابن رسول الله (ص) عن عمر يبلغ ١٨ شهراً، فربط الناس بين الحادثتين وقالوا: إن الشمس كسفت حزناً على ما نزل على النبي (ص) من مصاب جلل. فقام رسول الله (ص) فيهم خطيباً موضحاً وقال: "**يا أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يجريان بأمره، مطيعان لها، لا ينكسفان لموت أحد، ولا لحياته، فإذا انكسفتا أو واحدة منهما فصلوا ثم نزل فصلى بالناس صلاة الكسوف**"١١١[14].

تتألف الصلاة من ركعتين، تشتمل كل ركعة على خمسة ركوعات، يعقبه قراءة قسم من سورة. فعقب حدوث أي من الحوادث المذكورة يجب على جميع المكلفين في المنطقة التي وقع فيها الحادث، أن يأتوا بهذه الصلاة. وعليهم أن يقضوها في حال تأخيرها.

صلاة الميت:

هناك فرصة أُخرى يمكن أن تكون عبرة للمعتبر هي لحظة مواجهة ختم ملف حياة الناس، وقصور أيديهم عن ساحة العمل والسعي في عالم الدنيا. عندما يضع جمع من المؤمنين جنازة المسلم الفقيد أمامهم، ويصلون عليه صلاة الميت، ستتحقق حينها واحدة من أعظم برامج التعليم السمعي والصوري والبصري، والتذكير غير المباشر للناس. إذ كيف يمكن البرهنة للناس بأوضح من هذا المشهد على أن الموت حق، وأنهم سيواجهون ظروفاً كهذه بعد قطع مرحلة ليست بالطويلة من الممكن أن يعلن عن انتهائها في كل آن وحين.

ان صف تشييع الميت والصلاة عليه، ودفنه من أنفع صفوف جامعة المعارف العينية والواقعية. ففيه يمضي المسلمون دورة في دروس: الحياة السليمة، حقارة الدنيا، ضرورة استثمار الفرص، التوحيد، التعبّد، الإحساس بضرورة التوادّ والتعاون، الفرار من الغفلة وغيرها.

يكبّر في هذه الصلاة خمس تكبيرات، يشهد المصلي بعد التكبير الأول بوحدانية الله، ونبوّة رسول الله (ص)، ويصلّي على النبي وآله بعد التكبير الثاني، ويدعو للمؤمنين والمؤمنات بالمغفرة بعد التكبير الثالث، ويصلّي على النبي وآله بعد التكبير الرابع، ويختم الصلاة بالتكبير الخامس.

والصلاة على الميت قبل الدفن وبعد الغسل والتكفين واجب كفائي بالنسبة إلى كل ميت١[15]، وإذا لم يصلّ على ميّت بينهما، لزمت الصلاة على قبره بعد دفنه.

ويجب على جميع المشاركين في الصلاة المحافظة على السكوت، والهدوء أثناءها، وأن يحدثوا أنفسهم ويعظوها، ويعملوا بقول الإمام الصادق (ع) حيث قال ما معناه: "**نزّل نفسك منزلة ميّت قد امهلت، لترجع إلى الدنيا، فتأتي بما قد نسيت**"١١١[16].

وقد رأى أمير المؤمنين علي (ع) في تشييع جنازة رجلاً يضحك فقال: "**كأن الموت فيها على غيرنا كتب، وكأن الحق فيها عن غيرنا وجب، وكان الذي نرى في الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون، نبوؤهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأناً مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظ وواعظة**"١١١[17].

صلاة الاستسقاء:

إن العصيان والطغيان بوجه مالك السماوات والأرض يؤدّي إلى الحرمان من النعم والخيرات السماوية والأرضية، فالله الذي يغضب عند المعصية، وينزل العذاب والنقمة، أوضح السبل لرفع العذاب، واستنزال الرحمة والبركة، قال رسول الله (ص): "**إذا غضب الله على أمّة، ثم لم ينزل بها العذاب غلت أسعارها، وقصرت أعمارها، ولم تربح تجارها، ولم تزل ثمارها، ولم تغزر أنهارها، وحبس الله أمطارها، وسلط عليها أشرارها**"١١١[18].

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق (ع) عدّ نزول المطر معلول لشيوع الظلم١[19].

في ظروف كهذه دعي الناس إلى تحوّل عاطفي ومعنوي وإقامة مراسم خاصة بالدعاء والصلاة، لتعود إليهم في ضوء انكسارهم وأنابتهم رحمة الله، وعنايته.

وصلاة الاستسقاء التي تقام جماعة كما تقام صلاة العيد، وتكون عادة في صحراء أي منطقة بعيدة عن التلوث بكل أنواع الآثام والمعاصي والذنوب، ويشترك فيها الأطفال والدواب الذين حرموا رحمة الله بما فعله الآخرون، ويفرّق بين الأطفال الصغار وأمهاتهم، ليبعث صراخهم الرقة في الآخرين، ويقضون ثلاثة أيام بالعبادة والصوم، وينصرفوا إلى التوبة والاستغفار، والتكبير قبل الصلاة. ثم يخرج الناس جميعاً حفاة إلى الصحراء، ويؤدوا الصلاة تحت السماء، ويقوم إمام الجماعة بعد الصلاة بوعظ العباد، وإرشادهم ونصحهم، وعرض حالهم على مقام الأحديَّة.

لقد سجل التاريخ نماذج كثيرة عن عودة النعمة والرحمة إلى الناس بعد عودتهم روحياً ومعنوياً إلى الله. ومن ذلك ما حدث في عصرنا الحاضر في العام ١٣٦٣ الهجري القمري حيث طلب أهل قم الذين كانوا يعانون من قلة المطر، وانقطاع الرحمة الإلهية عنهم من آية الله العظمى السيد محمد تقي الخونساري (رحمه الله) أن يخرج معهم لإقامة صلاة الاستسقاء. فأقام هذا الرجل الرباني الجليل هذه الصلاة مع الناس يومين متتاليين بالرغم من سخرية بعض الجهلة واستهزائهم بذلك. وبعد انتهاء اليوم الثاني من الصلاة، وقبل رجوع الناس إلى المدينة انهمر المطر بقوة حتى ملأت المياه جميع السواقي، وروّت جميع المحاصيل الزراعية، وعمّت الفرحة الناس، وتجددّ عهدهم وميثاقهم في ارتباطهم بالله في ضوء الغضب والمقاطعة والصلح١[20].

صلاة القضاء:

الصلاة فريضة لا يمكن تركها في أي حال لأي أحد إلاّ النساء في عادتهن الشهرية حيث يجلسن في مصلاّهن وينصرفن إلى المناجاة والدعاء والتسبيح عوضاً عن الصلاة.

ويجب فيما عدا هذه الصورة أداء جميع الصلوات بشكل منظم وكامل، وبقراءة صحيحة، ولباس طاهر نظيف، ورعاية لسائر الشروط الواجب توفرها في المصلي. ولو حدث أن تركت الصلاة عمداً أو نسياناً، أو جيء بها ناقصة فيجب ــ حيث أمكن ــ الإتيان بها قضاءً. ولا تتحقق التوبة من الصلوات التي لم تصل إلاّ بإتيان وأداء كل ما كان واجباً على التائب، ولا يوجد ما يكون بديلاً عن ذلك. وحيث يحتمل في كل مكلّف عادة بالنظر لجوانب النقص ونواحي الجهل فيه خصوصاً في المقطع الأول من التكليف فقدانه عدداً من صلواته للشروط الواجبة، أو عدم أدائه لبعضها فينبغي على المكلف أن يسعى ــ ما أمكنه ذلك ــ لرفع النواقص المذكورة فلا يبتلى في يوم الحساب والجزاء.

الدرس الثالث عشر
ترك الصلاة
عدم الاهتمام بالصلاة
عواقب عدم الاهتمام بالصلاة
١ ــ اسخاط النبي ومفارقة العترة
٢ ــ غضب الله
٣ ــ عدم إجابة الدعاء وحرمان دعاء الصالحين
٤ ــ الضيق والعسر
٥ ــ أهوال القبر والقيامة
٦ ــ عدم قبول الصلاة المستخف بها
القيام

الدرس الثالث عشر

ترك الصلاة

تكشف دراسة الروايات الواردة في الصلاة أن الصلاة كانت تحظى بدرجة من الأهمية عند المسلمين ما جعل الأسئلة المرتبطة بترك الصلاة قليلة جداً في الثقافة الإسلامية. وكل ما ورد من توكيدات وتحذيرات كان يدور حول ضرورة عدم إهمالها، والتهاون والاستخفاف بها. فقد كان يكتنف الصلاة جواً من الرهبة والخوف ما جعل الحديث حول ذلك أمراً جزئياً وصعباً. وإذا كان ورد في بعض الروايات "**إنّ أوّل ما يسأل المرء عنه يوم القيامة الصلاة**" فليس يراد بها السؤال عن وجودها أو عدمه، بل عن كيفية أدائها فإنّ تارك الصلاة بحكم الكافر والمرتد الذين يدخلون النار بلا سؤال. ولذا نجد في الروايات المذكورة جملة متممة هي: "**إن قبلت نظر في غيرها، وإن لم تقبل لم ينظر في شيء من عمله**"١١١[1].

فعلماء أهل السنة يعتقدون أن من ترك صلاة واجبة واحدة عامداً عُدَّ منكراً لأحد ضروريات الدين، وخارجاً من ربقة الإسلام ويجب قتله، وهدر دمه. وهذا الرأي هو فتوى

١ [1] بحار الأنوار، ج٢، ص٢٢٧.

مشهور علماء أهل السنة١[2]، وإن قال بعض بلزوم تكرر الترك منه. فقد صرّحوا أن من "دعي إلى صلاة في وقتها، فقال: لا أُصلّي وامتنع حتى فاتت وجب قتله"١[3].

ويذكر أحد علماء أهل السنة المعاصرين١[4] في كتابه الذي اختير منهجاً للتدريس في معظم الجامعات العربية ما معناه: "اتفق المسلمون على أن الصلاة واجبة على كل مسلم بالغ وعاقل... كما أجمع المسلمون على أن المنكر للصلاة كافر ومرتدّ... وأما من يترك صلاته تهاوناً واستخفافاً بها فهو فاسق وعاصٍ ما لم يكن حديث عهد بالإسلام، وغير طويل صحبة بالمسلمين ليتعلم منهم ثقافة الصلاة...".

يقول أبو حنيفة: "تارك الصلاة متهاوناً فاسق يجب حبسه، وضربه ضرباً مبرّحاً حتى يجري الدم منه، أو يصلّي ويتوب، أو يموت في الحبس. وهو حكم تارك صوم رمضان أيضاً. لكن الحكم بقتل هؤلاء منوط بإنكار وجوب هذه الفرائض، أو عدم الاعتناء بها، كما في الإفطار العلني من غير عذر ويعتقد سائر فقهاء أهل السنة أن تارك الصلاة ولو للمرة الأولى يحبس ثلاثة أيام حتى يتوب وإلاّ قتل"١[5].

ويرى علماء الشيعة أن "كل من ترك واجباً كالصلاة والزكاة والخمس والحج والصوم يؤدّب بما يراه الحاكم، فإن ارتدع وإلاّ أدبه ثانياً، فإن تاب وإلاّ أدّبه ثالثاً، فإن أصرّ قتل في الرابعة"١[6].

فلما سئل الصادق (ع) ما بال الزاني لا تسميه كافراً وتارك الصلاة تسميه كافراً وما الحجة في ذلك؟ قال: "**لأن الزاني وما أشبهه إنما يفعل ذلك لمكان الشهوة لأنها تغلبه، وتارك الصلاة لا يتركها إلاّ استخفافاً بها**"١١١[7].

عدم الاهتمام بالصلاة:

ما من شك من أن عدم الاهتمام بالصلاة ذنب عظيم، ومعرفة هذا الأمر مقدمة لاجتنابه.

١ ــ ففي رواية عن الصادق (ع) قال في تفسير الآية الواردة في ذم عدم الاهتمام بالصلاة١[8] "**تأخير الصلاة عن أوّل وقتها لغير عذر**"١١١[9].

ومن الواضح أن المراد بالعذر هو الضرورة الحادثة التي لا تقبل التأخير، والعمل ليس كذلك، إذ لو كان هو المانع من الصلاة لزم تأخيره لحضور وقت الصلاة، ولا تؤخر الصلاة لأجل العمل.

٢ ــ وفي رواية على الإمام علي (ع) قال: "**من أحسن صلاته حين يراه الناس وأساءها حين يخلو فتلك استهانة**"١١١[10].

إن نظرة عابرة عن صلواتنا في السر والعلن تكشف لنا إن كان اهتمامنا بالصلاة أم بالناظرين الحضور.

٣ ــ جاء في رواية عن الإمام (ع) قال: "**ما وقر الصلاة من أخّر الطهارة لها حتى يدخل وقتها**" فما من عمل يولى أهمية إلا أُعدت مقدّماته قبل حلول وقته. تُرى أي ضيافة حلّ وقتها ونحن لا نفكر في ارتداء الثياب والاستعداد لها؟!

٤ ــ أليس جهلنا وغفلتنا عن معاني الألفاظ التي نردّدها عشر مرّات في اليوم من خلال الصلاة إهمالاً لها؟! فلو كان لمخاطبنا بعض الأهمية عندنا أما كنّا نعتقد بضرورة تعلم معاني حوارنا معه، ونجوانا إياه، فنقف على الفهم الصحيح لكلامنا معه؟! كيف يسوغ لنا أن نتعلّم لغة بلدٍ من خلال إقامة قصيرة فيه، ونعرف اسم ورسم الطريق بالمرور منه مرّة أو مرّتين، ونبحث لدى رؤيتنا بناء عن اسمه، واسم بانيه، وخصائصه، ثم نغفل عن هذه الأمور في الصلاة؟! أليس هذا غاية الإهمال والتجاهل لدور الصلاة؟!

كيف نرضى أن نقوم بهذه العبادات التي لا تحمل غير الإهانة لله ربّ العالمين؟! يقول الإمام الحسين (ع) مخاطباً ربه: "**إلهي! من كانت محاسنه مساوي، فكيف لا تكون مساويه مساوي**" إن بين المصلي الذي لا يشعر بغير ألم فراق المحبوب، ولا ينبهه لحادث حوله١[11]، أو صوت قربه حيث هو غريق لذة وصال الحبيب... بين من يقيم الصلاة تحت وقع السياط مع ما في ذلك من تهديد وتعذيب ومضايقة١[12]، وبين المصلي الذي يعدّ الصلاة عبئاً ثقيلاً يجب الإسراع بوضعه، والتخلص منه وحين يكون في الصلاة يعبث تارة بيده، وأخرى بلحيته ويثاءب، فرقاً واضحاً هو اهتمام أولئك، واستخفاف هؤلاء بالصلاة فقط.

٥ ــ ومن علائم عدم الاهتمام بالصلاة العجلة فيها، وتحويل هذه العبادة إلى عادة يكون فيها المصلي كالآلة الطابعة تبرز منه الألفاظ وتصدر الأفعال بلا وعي لمعانيها، أو رعاية للخشوع والطمأنينة المشترطين فيها.

يروى أن رجلاً كان يصلّي مستعجلاً فأبصر به عليّ بن أبي طالب (ع) فقال: "**منذ كم صلّيت بهذه الصلاة؟ فقال له الرجل: منذ كذا وكذا، فقال: مثلك عند الله مثل الغراب إذا نقر، لو متّ متّ على غير ملة أبي القاسم محمد (ص)**". ثم قال علي (ع) مشبّهاً إنقاص العمل وعدم إتمامه بالسرقة: "**إن أسرق الناس من سرق من صلاته**"١١١[13].

عواقب عدم الاهتمام بالصلاة:

نتعرّض في هذا القسم إلى دراسة عواقب الاستخفاف وعدم الاهتمام بالصلاة، فمما يترتب على التهاون والاستخفاف بالصلاة الأمور التالية:

١ ــ اسخاط النبي ومفارقة العترة:

فقد روي عن رسول الله (ص) أنه قال لأصحابه غاضباً: "**ليس منّي من ضيع الصلاة**"١١١[14].

وعن الإمام الصادق (ع) في بيان المعيار لمعرفة من هُم على مذهبه، ويرتبطون به أنه قال:

"**امتحنوا شيعتنا عند محافظتهم على الصلوات**" وفي المشهور أنه (ع) عدّ التهاون بالصلاة والاستخفاف بها سبباً للحرمان من شفاعة أهل بيت العترة والطهارة يوم القيامة١[15]. وفي حديث آخر عن رسول الله (ص) قال: "**من استخف بصلاته لا يرد عليَّ الحوض، والله**"١١١[16].

فهذا التأكيد والتصريح المصحوب بالقسم يحكي عن مدى الفاصلة بين النبي الأكرم (ص) والمصلين الذين لا يبالون بصلاتهم.

٢ ــ غضب الله:

لقد حذّر القرآن الكريم عبر انتقاداته اللاذعة، وتقريعاته المستمرّة للذين يضيّعون الصلاة١[17] أو لا يهتمون لها١[18] المسلمين من هذا العمل. ففي حديث عن عليّ (ع) قال:

"**في تأخير الصلاة من غير علّة غضب الله**"١١[19].

وفي رواية أنه قال:

"**إذا قام العبد في الصلاة، فخفف صلاته، قال الله تعالى لملائكته أما ترون إلى عبدي كأنّه يرى أن قضاء حوائجه بيد غيري**"١١[20].

٣ ــ عدم إجابة الدعاء وحرمان دعاء الصالحين:

إن الذين لا يعبأون بالصلاة باعتبارها واجباً إلهياً، ويصغرونها، لا يعبأ لله بأدعيتهم وأعمالهم أيضاً. فعن رسول الله (ص) أنه قال ما مضمونه:

"**من تهاون بصلاته... كل عمل يعمله لا يؤجر عليه ولا يرتفع دعاؤه إلى السماء**"١١[21].

وفي فقرة أُخرى قال:

"**من تهاون بصلاته... ليس له حظ في دعاء الصالحين**"١١[22].

٤ ــ الضيق والعسر:

يورث سخط الله ورسوله وغضبهما بحق الذين يصغرون شأن الصلاة أضراراً وآثاراً سيئة عليهم. وإن أمكن أن لا يدرك تاركو الصلاة والمستخفون بها هذا التأثير، فلا يلتفتوا إلى سبب انحاء الضيق والابتلاءات التي يتعرضون لها. فعن رسول الله (ص) ما مضمونه قال: "**من تهاون في صلاته... يرفع الله البركة عن رزقه**"١١١[23].

كما أن الرسول الأكرم (ص) تنبّأ بالفقر والحاجة لهم حيث قال:

"**الاستخفاف بالصلاة يورث الفقر**"١١[24].

بينما يعتبر في رواية أخرى هذا العمل مانعاً من الرزق١[25].

٥ ــ أهوال القبر والقيامة:

ورد في حديث عن رسول الله (ص) ما مضمونه: "**من تهاون بصلاته... أوكل الله به ملكاً يسحبه على وجهه، والخلايق ينظرون إليه وحوسب حساباً شديداً**"١١١[26].

وفي حديث آخر عنه في هذا الخصوص قال:

"**من تهاون بصلاته يُضيَّق عليه قبره، وتكون الظلمة في قبره**"١١[27].

وفي حديث عن الرسول الأكرم (ص) روي أنه قال ما مضمونه: "**من تهاون بصلاته... كان عند موته ذليلاً جائعاً عطشاناً**"١١١[28].

٦ ــ عدم قبول الصلاة المستخف بها:

لا يقبل الله سبحانه الصلاة المستخف بها والمتهاون فيها. فعن الصادق (ع) أنه قال:

"**إن الله لا يقبل إلاّ الحسن فكيف يقبلُ ما يستخفُّ به**".

إذ كيف يقبل الله صلاة من يأتي بها بلا حبٍ ولا اعتناء؟!

٧ ــ لقد رسمت بعض الروايات صورة للصلاة تظهر فيها الصلاة بصورة ملك يكلّم الإنسان فربما شكره، وربما عتب عليه. ففي رواية عن الصادق (ع) يقول:

"إن العبد إذا صلّى الصلاة لوقتها، وحافظ عليها، ارتفعت بيضاء نقية تقول حفظتني حفظك الله، وإذا لم يصلّها لوقتها، ولم يحافظ عليها رجعت سوداء مظلمة تقول ضيعتني ضيّعك الله"١١[29].

هذا؛ ويعدّ القرآن الكريم طريق تاركي الصلاة ينتهي بجهنّم حيث يقول: **(ما سلككم في سقر قالوا لم نكُ من المصلين)١١١**[30].

كما يدين المصلين الذين يتركون الجماعة، ويحكم عليهم بالحسرة والندم حيث يقول:

(يوم يكشف عن ساقٍ ويدعون إلى السجود، فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم، ترهقهم ذلّة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون)١١[31].

بينما يعدّ الذين يصلّون جماعة بلا خشوع والتفات منهم في صلاتهم أهلاً للتوبيخ والتقريع واللوم فيقول: **(فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون)١١١**[32] ويسم في آية أخرى هذه الفئة بالنفاق فيقول:

(إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً)١١[33].

ولا يثني القرآن إلاّ على الذين يقيمون الصلاة بخشوع والتفات ووعي حيث يقول في ذلك:

(قد أفلح المؤمنون الذين في صلاتهم خاشعون)١١[34].

القيام:

إذا كان الوقوف بلا التفات

فلست اعدُّه ضمن الصلاة

فلولا الحبُّ ما استقبلتُ أصلاً

ولا صلّيت يوماً في حياتي

فما هدفي من الإقبال إلاّ

أبثك من فراق لاعجاتي

وإلا ما صلاة نحن فيها

جلوساً والقلوب بلا التفات

روي في حديث جامع أن النبي (ص) عدّد في جوابه على سؤال الزهراء (ع) عن عاقبة تارك الصلاة، والآثار الناجمة عن ذلك فقال:

"يا فاطمة! من تهاون بصلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمس عشرة خصلة: ستّ منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره، وثلاث في القيامة إذا خرج من قبره".

فأما اللواتي تصيبه في دار الدنيا: فالأولى: يرفع الله البركة من عمره، ويرفع الله البركة من رزقه، ويمحو الله عزّ وجلّ سيماء الصالحين من وجهه، وكل عمل يعمله لا يؤجر عليه ، ولا يرتفع دعاؤه إلى السماء، والسادسة: ليس له حظّ في دعاء الصالحين.

وأما اللواتي تصيبه عند موته فأولاهن: أن يموت ذليلاً، والثانية: أن يموت جائعاً، والثالثة: أن يموت عطشاناً، فلو سقي من أنهار الدنيا لم يروِ عطشه.

وأما اللواتي تصيبه في قبره فأولاهن: يوكل الله به ملكاً يزعجه في قبره، والثاني يضيق عليه قبره، والثالثة: تكون الظلمة في قبره.

وأما اللواتي تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره فأولاهن: أن يوكل الله به ملكاً يسحبه على وجهه، والخلايق تنظر إليه، والثانية: يحاسب حساباً شديداً، والثالثة: لا ينظر الله إليه، ولا يزكيه وله عذاب أليم[35].

الدرس الرابع عشر
عوامل الانصراف
١ ــ اقتراف الذنوب والمعاصي والآثام
٢ ــ الجهل
الجهل بفلسفة الصلاة ومعانيها
جهل الإنسان بحاجاته
التأثر بالدنيا

عدم البرمجة الصحيحة للصلاة

الدرس الرابع عشر

عوامل الانصراف

إن انصراف الإنسان وعدم رغبته بتناول الطعام، أو الفاكهة السليمة ينبئ بلا ريب إما عن عدم سلامة في الجسم، أو جهل بأثر الفيتامينات وخصائص الطعام عليه، أو عن وجود عوامل جانبية تمنعه من الأكل. ولما كانت المناجاة والدعاء والصلاة تمثل الغذاء الروحي للإنسان؟ فلماذا يبدي البعض انصرافاً وإهمالاً لها؟! وما العوامل التي تقف حائلاً دون انجذاب الإنسان إليها والاعتناء بها؟!

وهذا هو ما نقوم بدراسته فيما يلي:

١ ــ اقتراف الذنوب والمعاصي والآثام:

إن من جملة التركات القيّمة في الثقافة الإسلامية، الأدعية والنجاوى التي خلّفها الأئمة المعصومين (ع) حيث بينت كثير من العلوم الإسلامية بلغة الدعاء. فالإمام السجاد (ع) مثلاً يأخذ في دعاء أبي حمزة الثمالي بدراسة عوامل انصراف الإنسان عن الصلاة ويقول مخاطباً الله تبارك وتعالى:

"اللهم إني كلّما قلت قد تهيّأت وتعبّأت وقمتُ للصلاة بين يديك، وناجيتك ألقيتَ عليَّ نعاساً إذا أنا صلّيتُ، وسلبتني مناجاتك إذا أنا ناجيتُ.. لعلك عن بابك طردتني، وعن خدمتك نحيتني، أو لعلّك رأيتني مستخفاً بحقك فأقصيتني، أو لعلّك رأيتني معرضاً عنك فقليتني، أو لعلّك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني... أو لعلّك بقلة حيائي منك جازيتني..." وهكذا يبين الإمام (ع) أن اقتراف الذنوب والآثام هو من جملة العوامل المهمة للانصراف عن الصلاة...[1].

٢ ــ الجهل:

لا ريب ان الشخصية المجهولة وغير الموصوفة لا جاذبية لها، ولا تحظى بالاحترام والتقدير. فالله سبحانه في سورة الحمد يصف نفسه للعالمين بأنه ربهم، وأن علاقته بهم علاقة المالك والمربي، وأنه حبٌّ ولطف كلّه لمملوكيه ومربوبيه. ولا تنقطع هذه العلاقة بغلق ملف البشرية في النشأة الأولى، ودار الدنيا، بل هو في عالم الآخرة مركز كلّ العنايات والقدرات ولا غير، فبعد أن يعرف الإنسان ربّه، ويجد الشعور بالحبّ والعشق في ضوء هذه المعرفة يردد عن الإنسان قوله:

(إياك نعبد وإياك نستعين).

أمّا من لا يُحني رأسه تعظيماً وإجلالاً لبحر الرحمة واللطف الإلهي اللامتناهي، ولا يشعر بالمحبة تجاهه، فهو يشعر بالغربة لأنه لم يعرفه. ففي حديث قدسي يذكر الله سبحانه وتعالى أن الرغبة إلى الصلاة تنجم من المعرفة لله ومحبته إذ يقول:

"يا ابن عمران! لو رأيت الذين يصلّون لي في الدجى، وقد مثُلت نفسي بين أعينهم، وهم يخاطبوني...يا ابن عمران كذب من زعم أنّه يحبني، فإذا جنّهُ الليل نام عنّي، أليس كلّ محب يحب خلوة حبيبه"[١١][2].

الجهل بفلسفة الصلاة ومعانيها:

تمثّل الصلاة مصداقاً عن احتياجات الإنسان الباطنية فإقامتها تستند إلى الفهم الصحيح لأسرار الصلاة وفلسفتها. فالإنسان الذي لا يدري لماذا يصلّي؟ وأي أثر يترتب على الصلاة؟ وما هي مضامين هذه المحاورات المتكرّرة؟ سيكون فاقداً للدوافع والميل تجاه هذه العبادة. وهذا الأمر لا يقتصر على الصلاة، بل ان الإنسان إنّما يطوع نفسه إزاء الأعمال التي يعتقد ــ وإن كان خطأ ــ بها، ويرى جسمه أو نفسه محتاجين لها. فالحاجة أساس جميع الأفعال، وقطب جميع جهود ومساعي الإنسان بما في ذلك الأكل والنوم، إذ لو لا الاعتقاد بفائدتهما لتركهما الإنسان، ولحمل نفسه على الجوع والسهر للظفر بمنفعة أكبر. فإذا بقيت الصلاة أو أي عبادة أخرى من بين كل هذه الحاجات المتعارفة مجهولة وغير معروفة، فأي شيء يمكن أن يكون موجّهاً لرغبة الإنسان وميله إليها؟ وكيف للإنسان أن يعطي بدل العمل، أو الخلود إلى الراحة، أو مشاهدة التلفزيون... الأولوية لهذه الرواية

---

١ [1] مفاتيح الجنان ــ دعاء أبي حمزة الثمالي.

المجهولة!. فعلاج مرض الانصراف وعدم الرغبة بالصلاة رهين معرفة الصلاة ومعانيها وأسرارها. فعن النبي الأكرم (ص) قال:

"لو تعلم ما لك في صلاتك ومن تناجي ما سئمت وما التفتَّ".

جهل الإنسان بحاجاته:

يُؤدي عدم تقدير الإنسان لحاجاته تقديراً صحيحاً إلى غفلته عن الضرورات. فلو أن الإنسان أدرك حاجته إلى المعبود، وعلم أن إثمار كل سعي وجهد مرهون بالله سبحانه، ومشيّته، ما توانى أبداً عن مخاطبته والاتصال به في جميع مراحل النشاطات والبرامج التي يقوم بها ليلاً أو نهاراً. فهو لا يعلم أن جميع عقده يجب حلّها بالصلاة والارتباط بالله.

فالله سبحانه يخاطب ملائكته حول هذه الجهل والضلال فيقول: **"أما ترون إلى عبدي كأنه يرى أن قضاء حوائجه بيد غيري، أما يعلم أن قضاء حوائجه بيدي"**١١١[3].

فمقاطعة الله وترك ذكره ليس له من علة إلاّ الجهل... الجهل بالله، والجهل بالصلاة، وجهل الإنسان بحاجاته وفقره. لذا هو يغتنم كلّ فرصة للفرار. وما أجمل ما نظم الشاعر إذ قال:

فراراً من النور إلى ظلمةٍ

ومن مائه ضامئاً تركض

دعاك الإله إلى منحةٍ

لماذا إلى غيره توفض

فأمك منه استقت حنوها

وأنت له تارك مبغض

لئن أعرض الناس عن اجنبيٍ

فعن صاحب أنت ذا معرض

فأنى تحلى فظل الإلــ

ــه ظليل وظلّه لا يقبضُ

التأثر بالدنيا:

إن من يرغب في استعمال الدخانيات يشعر في أولى مرّة يتجه فيها إلى رسول المرض والذبول هذا بردود فعل سيئة في الحاسة الذائقة، والجهاز الهضمي، والتنفسي. لكنه بعد مدة يعتاد التغيير في الطبع والميول ما يجعله لا يعبأ بشيء كما يعبأ بالسيجارة. فلا يشعر باللذة لدى تناوله الأطعمة المفيدة واللذيذة، ولا يبعث فيه الهدوء والاستقرار والطمأنينة غير دخان السيجارة المولد للسرطان. والتعلق بالدنيا والتأثر بها، ظلمة وجهل وغباوة تفقد الإنسان القدرة على تذوّق الجمالات واللذات المعنوية والعبادية. ففي رواية عن المسيح قال:

"صاحب الدنيا لا يلتذّ بالعبادة، ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حبّ المال"[11][4].

وعن أمير المؤمنين عليّ (ع) قال:

"كيف يجد لذة العبادة من لا يصوم عن الهوى"[11][5].

وفي حديث قدسي يخاطب الله سبحانه داود (ع) فيقول:

"ما لأوليائي والهم بالدنيا إنّ الهم يُذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم"[11][6].

عدم البرمجة الصحيحة للصلاة:

يعتبر القرآن الكريم إقامة الصلاة، وإيجاد الظروف المواتية والمحرّكة للرغبة نحو الصلاة إحدى علامات حكومة الصالحين. ومع أن هناك محاولات ومساعي كثيرة قد بذلت بعد انتصار الحكومة الإسلامية في إيران، واستحكامها من أجل الارتقاء بثقافة الصلاة في المجتمع مما سجل ارتفاعاً شديداً في نسبة المصلين، وملأ المدارس والمراكز الثقافية والجامعية بعطر الصلاة. لكن الملاحظ أن الخبراء والمتخصصين يؤكدون في ندواتهم ومؤتمراتهم على ضرورة ملء الشواغر المتنوعة فيما يخص التشويق وبعث الرغبة نحو الصلاة. وفيما يلي عدد من المحاور التي ينبغي البحث عنها:

ـ علاقة الرغبة في الصلاة بإقامتها جليلة أمام عامة الناس.

ـ دور تعريف الصلاة للشباب بلغة الفن في بعث الرغبة إليها.

ـ دور البرامج التعليمية والتربوية للمسجد في تحريك الرغبة إلى الصلاة.

ـ دور الجو التربوي للعائلة في إيجاد الشوق والرغبة إلى الصلاة.

ـ اصطحاب الوالدين لأولادهم في البرامج العاطفية والمسلية، ودورها في صحبة الأولاد لهم في البرامج الدينية (كالصلاة في المسجد).

ـ ارتباط رغبة العاملين بحضور المسؤولين والمدراء في الصلاة.

ـ دور الجليس والصاحب في إيجاد الرغبة لدى الإنسان في الصلاة.

ـ دور تنظيم خطط تشتمل على برامج في الضيافة والترفيه وإعداد تسليات تلفزيونية في ذلك والحيلولة دون إطالتها لحفظ روحية المصلّي.

ـ ارتباط رغبة الأولاد في الصلاة بحثّ والديهم وتشجيعهم وطبيعة تعاملهم معهم.

ـ دور محبة أولياء الأمور لأبنائهم عند إقامتهم الصلاة، وتأثيرها في تحريك الرغبة فيهم نحوها.

ـ العلاقة بين رغبة الجيل الجديد بالصلاة، وكيفية تعامل الأمناء والمشرفين على المسجد معه.

ـ علاقة تصرّف المصلين في المجتمع بمقاطعة الأفراد، أو رغبتهم وشوقهم إلى الصلاة.

ـ العلاقة بين رغبة الناس بالصلاة، ونظافة المسجد، وجمال بنائه، وجوّه المعنوي.

ـ أثر إقامة الصلاة في المراكز العامة في نشر ثقافة الصلاة.

ـ ارتباط الرغبة في الصلاة بكيفية توجيه آثارها وثمراتها في المجتمعات العلمية والتعليمية.

ـ دور أسلوب التعامل والأخلاق التي يبذلها إمام الجماعة في بعث الرغبة نحو الصلاة.

ـ دور المؤذّن في الترغيب نحو الصلاة.

ـ أثر غريزة التقليد والمحاكاة الموجودة لدى الأبناء في تعلّم إقامة الصلاة ومدى اهتمام الوالدين بها.

ـ دور عرض أحوال المصلين المخلصين ونشرها، في تحريك رغبة الناس نحو الصلاة.

ـ أثر الاعتدال في العبادة في استمرار الرغبة فيها والمداومة عليها.

إلهي... أسألك بجاه محمد وآله أن تجعلنا من مقيمي الصلاة، وتوفقنا لفهم حلاوة مناجاتك وذكرك، وأعنّا على سدّ النقائص، ورفع الخلل آمين يا ربّ العالمين.